الفصل الثالث
في ذكر بعض الكرامات
التي ظهرت على يد الشيخ رضي الله عنه

اعلم أن شيخنا رضي الله عنه غريب، وشأنه كله عجيب، ومثله لا يحتاج إلى كرامة؛ لأنه كله كرامة، فإنه يخوض في العلوم التي تعجز عنها الفحول، ويأتي فيها بما يوافق المعقول والمنقول، مع كونه أميًّا [فإنه](1) لا يحفظ القرآن العزيز، فضلاً عن أن يسام بتعاطي شيء من العلوم، مع أنه قط لم ير في مجلس درس من صغره إلى كبره، ولنبدأ بالكرامة التي لا كرامة فوقها، وهي سلامة العقيدة واستقامتها.

ولما جمعني الله به سألته عن عقيدته في التوحيد، فسرد عليّ عقيدة أهل السنة والجماعة، ولم يغادر منها شيئًا، وقال لي مرة: إنه لا يفتح على العبد إلا إذا كان على عقيدة أهل السنة والجماعة، وليس لله ولي على عقيدة غيرهم، ولو كان عليها قبل الفتح لوجب عليه أن يتوب بعد الفتح، ويرجع إلى عقيدة أهل السنة.

* **قلت**: وكذا ذكر بدر الدين الزركشي في «شرح جمع الجوامع» للسبكي، ولم أزل أسمعه رضي الله عنه يمدح أهل السنة ويثني عليهم كثيرًا ويقول: إني أحبهم محبة عظيمة، ويطلب من الله تعالى أن يتوفاه على عقيدتهم، ثم جعلت ألقي عليه شيئًا من شبه أهل الأهواء، فيفهم الشبهة غاية، ويقررها أحسن تقرير، ويجيب عنها بطريق الشهود والعيان، فتسمع عنه في أمر الربوبية وسر الألوهية، وهو يجيب بها لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر قط على عقولنا، مع كثرة معاناتنا للمعقول والمنقول، حتى إن من وفقه الله تعالى، وخالطه في هذا الباب، وجال معه في أجوبة شبه أهل الأهواء، فإنه يكتسب منه قوة، وتحصل له ملكة يقدر بها على حل شبه اثنين وسبعين فرقة.

وقال لي مرة رضي الله عنه مشيرًا إلى الكشف والعيان الذي فتح الله عليه به: ما آمنا إلا بما رأينا، أيؤمن أحد بما لا يرى؟ فإن الوسواس لا ينقطع إلا بالرؤية.

- ثم سألته عن أحاديث الصفات: هل الواجب فيها التفويض الذي هو طريق

---

(١) الزيادة من (ب).

السلف، أو التأويل الذي هو طريق الخلف؟

فقال ﷺ: الواجب فيها التفويض، وشأن الربوبية عظيم، ولا يقدر العباد قدرها، ولا يطيقون الوصول إلى شيء من كنهها.

قال: ولو أن أهل الدنيا أرادوا الوقوف على حقيقة ما سمعوا في نعيم أهل الجنة ما أمكنهم ذلك، فإن العنب ليس كالعنب، والتمر ليس كالتمر، والذهب ليس كالذهب، ولو فتح الله على عبد ونظر إلى ذهب أهل الجنة وذهب [أهل](١) الدنيا، وعنب الجنة وعنب الدنيا لوجد المعاني متباينة إلى الغاية، ولم يجد بينهما اشتراكًا إلا في مجرد الأسامي.

وكذا أهل الأرض الثانية بالنسبة إلى نعيم أهل الأرض الأولى، فإنه لو سمي لهم العسل والسمن واللبن والخبز ونحوها بأسماء بعض ما يأكلون، فإنهم لا يبلغون إلى معرفة العسل وما ذكر معه، وذلك أن هذه الأشياء مفقودة في الأرض الثانية، فإذا كان هذا في الحادث مع الحادث فكيف بالقديم ﷻ مع الحادث؟! فالواجب على العباد إذا سمعوا شيئًا من أحاديث الصفات أن ينزهوه تعالى عن الظاهر المستحيل، ويفوضوا معناه إلى الله ﷻ.

* **قلت**: والتفويض هو قول مالك، وسفيان بن عيينة، وسفيان الثوري، وحماد بن زيد، وحماد بن سلمة، وشعبة، وشريك، وأبي عوانة، وربيعة، والأوزاعي، وأبي حنيفة، والشافعي، وأحمد بن حنبل، والوليد بن مسلم، والبخاري، والترمذي، وابن المبارك، وابن أبي حاتم، ويونس بن عبد الأعلى.

وهو قول أهل القرون الثلاثة الذين هم خير القرون، حتى قال محمد بن الحسن الشيباني صاحب أبي حنيفة: اتفق الفقهاء كلهم من المشرق إلى المغرب على الإيمان بالقرآن والأحاديث التي جاءت بها الثقات عن رسول الله ﷺ في صفة الرب من غير تشبيه ولا تفسير.

وقال إمام الحرمين في «الرسالة النظامية»: اختلفت مسالك العلماء في هذه الظواهر، فرأى بعضهم [تفسيرها](٢) والتزم ذلك في آي الكتاب وما يصح من السنن.

---

(١) الزيادة من (ب).

(٢) في (ب) تأويلها.

وذهب أئمة السلف إلى الانكفاف عن التأويل، وتفويض معانيها إلى الله ﷻ.

والذي نرتضيه رأيًا، وندين الله به عقيدة اتباع سلف الأئمة؛ للدليل القاطع على أن إجماع الأمة حجة، فلو كان تأويل هذه الظواهر [حتمًا لا شك](١) أن يكون اهتمامهم به فوق اهتمامهم بفروع الشريعة، وإذا انصرم عصر الصحابة والتابعين على الإضراب عن التأويل كان ذلك هو الوجه المتبع. انتهى.

قال الحافظ ابن حجر: وقد تقدم النقل عن أهل العصر الثالث، وهم فقهاء الأمصار، كالثوري، والأوزاعي، ومالك، والليث ومن عاصرهم، وكذا من أخذ عنهم من الأئمة، فكيف لا يوثق بمن اتفق عليه أهل القرون الثلاثة، وهم خير القرون بشهادة صاحب الشريعة. انتهى.

ويشير بقوله وقد تقدم النقل إلى ما لخصناه من كلامه في تسمية من سبق ذكره، فعقيدة شيخنا ﷺ هي عقيدة أهل القرون الثلاثة، وهذه هي الكرامة التي لا كرامة فوقها.

قال الحافظ ابن حجر: قال ناصر الدين بن المنير: الاستقامة يستحيل [أن لا](٢) تكون كرامة، بخلاف غيرها من الخوارق، فقد يكون رحمة، وقد يكون فتنة، وبعد سماعك هذا الكلام فاعلم أن ما شهدناه من كرامات الشيخ ﷺ وكشوفاته شيء كثير لا يمكننا استقصاءه، فلنذكر بعضه:

فمن ذلك: إنه مات لي ولد أول معرفتي به، فحزنت عليه أمه، وكان مات ولد آخر قبل ذلك، فجعلت أسليها وقلت لها: سمعت سيدي أحمد بن عبد الله صاحب المخفية يقول: إني إذا نظرت إلى الصبيان ونظرت إلى الأمور المستقبلية النازلة رحمتهم، ومن مات منهم سلم من ذلك، وقد مات ولدك ونحو هذا الكلام مما يسليها ويصبرها، فلقيت شيخنا ﷺ عند الصبح فقال: إنكم قلتم البارحة لزوجتكم كذا وكذا، وذكر الكلام الذي نقلته عن سيدي أحمد بن عبد الله، فعلمت أنه كاشفني بما وقع في الدار.

ومن ذلك: إنه ﷺ كان يأكل القرنفل لضر بصدره، فصار تشم منه رائحة طيبة،

---

(١) في (ب) احتمالاً أو شك.
(٢) في (ب) أن.

وهي رائحة القرنفل، فكنت أشمها منه كثيرًا إذا كنت معه بالنهار، فإذا تنفس خرجت رائحة القرنفل مع نفسه الشريف، ثم صرت أشم تلك الرائحة بنفسها إذا كنت في داري ليلاً، وقد سدت الأبواب وهو بداره في رأس الجنان، وأنا أسكن في [بكر نقر] بقاف معقودة، فجعلت الرائحة تفوح علينا في البيت المرة بعد المرة، فانتبهت لذلك وأعلمت [المرأة](١) بذلك، وكانت تحبه حبًّا شديدًا، وكذلك هو ﷺ يحبها حبًّا شديدًا.

ثم طال أمر الرائحة علينا مدة كثيرة وأيامًا عديدة، فقلت له ﷺ: إن رائحتك تكون عندنا ليلاً ونشمها كثيرًا، فهل تكون عندنا؟ فقال ﷺ: نعم، فقلت له على سبيل الضحك: فإني يا سيدي [أتيمم](٢) الرائحة حتى أقبضك بيدي، فقال ﷺ ممازحًا: وأنا أتحول إلى زاوية أخرى من البيت، ثم ذكرت له مرة أخرى أمر الرائحة فقال: هذا الشم، فأين [الشوق](٣)؟.

وقال لي ﷺ **مرة أخرى**: إني لا أفارقك ليلاً ولا نهارًا.

وقال لي مرة أخرى: حاسبني بين يدي الله ﷻ إن كنت لا أنتبه لك في الساعة الواحدة خمسمائة مرة.

وقلت له مرة: يا سيدي، رأيت في المنام ذاتي وذاتك في ثوب واحد، فقال: هذه رؤيا حق، وأشار أنه لا يفارقني ليلاً ولا نهارًا.

وقال لي مرة [أخرى](٤): أنا آتيك في هذه الليلة، فرد بالك، فلما كان السدس الأخير من الليل وأنا بين اليقظة والمنام أتاني ﷺ فلما دنا مني أخذت بيده الشريفة فقبضتها فتبعته وأنا أريد أن أقبلها، فلما قبلتها وقبلت رأسه الكريم غاب عني.

ومن ذلك: إن السلطان ـ نصره الله ـ كتب كتابه، [وأرسل معه](٥) اثنين من أصحابه إلي برسم أن أذهب إلى مكناسة؛ لأصلي بالناس في جامع الرياض، فنزل بي ما الله

---

(١) في (ب) الزوجة.
(٢) في (ب) أتبع.
(٣) في (ب) الشوفة.
(٤) الزيادة من (ب).
(٥) في (ب) وأرسله مع.

به عليم، فلما سمع بذلك قال لي: لا تخف، فإنك إن رحلت إلى مكناسة رحلنا معك، ولكن لا بأس عليك، وما طلبوه منك لا يكون [أبدًا](١)، فذهبت معهما إلى مكناسة، وسلك الله الأمر على خير، ولا كان إلا ما قال الشيخ ﷺ فرجعت إلى داري بفاس، ولما سمع بذلك [صهري](٢) والد الزوجة الفقيه سيدي محمد بن عمر، كتب إليّ يقول: إنك قدمت من مكناسة ولم تلتق مع السلطان ـ نصره الله ـ ولا فاصلت نفسك، فلا تدري ما ينزل بعد قدومك، فالرأي أن ترجع إلى مكناسة وتلتقي مع السلطان ـ نصره الله ـ وتظهر له الرضا بقبول الإمامة في المسجد المذكور، وغير هذا لا تفعله، فأتيت بمكتوبه إلى الشيخ ﷺ فقال لي: اقعد في دارك، ولا تخش مكروهًا.

فكان الأمر كما قال الشيخ ﷺ وهذه كرامة غريبة، ولو شرحت أمر الحكاية لظهرت الغرابة التي أشرنا إليها، حتى كان بعض أصحابنا من المقربين بمكناسة يقول: ما رأينا أغرب مما فعلت، بعث إليك السلطان ـ نصره الله ـ كتابه، وأكد عليك فيه، وأرسل اثنين من أصحابه، وقدما بك إليه، ثم إنك امتنعت من اللقاء معه، ورجعت إلى فاس ولم تبال، إن هذا لشيء عجيب، [وكل](٣) ذلك من بركة الشيخ ﷺ.

ومن ذلك: إن [المرأة](٤) حصل لها حمل، فقال: هو ذكر، ولما كان تاسعها وعادتها أن تضع في أوله جاءها وجع، فما شككنا أنه وجع الولادة، فقال ﷺ: إن الوجع الذي ترون عن ضر نزل، وأمّا الولادة فإنها بعيدة، فكان كما قال ﷺ.

ومن ذلك: إنني التقيت مع الفقيه سيدي محمد ميارة، فأعطى للشيخ ﷺ أربع موزونات، فقال لي الشيخ بعد ذلك: إن سيدي محمد ميارة شيء كبير، أدخل يده في جيبه فخرجت له موزونات لم يرضها فردها، ثم أخرج ما يرضى ودفعه لنا، فلقيت سيدي محمد ميارة فذكرت له ما قال الشيخ، فقال: قال الحق، خرجت موزونات رديئة فرددتها وأعطيت الجيد.

---

(١) الزيادة من (ب).
(٢) الزيادة من (ب).
(٣) في (ب) وكان.
(٤) في (ب) زوجتي.

وكنت أتكلم مع الفقيه المذكور، فجرى ذكر رجل يعتقد فيه الخير الفقيه المذكور، فأشرت أنا إلى ما أعلم فيه، فقال الشيخ: إنك لما ذكرت ما ذكرت في الرجل ارتعدت مصارينه في جوفه من قوة نيته الخير في الرجل، فلقيت الفقيه المذكور وذكرت له ما قال الشيخ ﷺ فقال: صدق والله، لقد كان الأمر كما قال.

ومن ذلك: إن ولده سيدي إدريس ـ أصلحه الله وأنبته نباتًا حسنًا ـ مرض مرضًا مخوفًا، وأحزن ذلك أمه كثيرًا، فدخلت ذات يوم بعد المغرب على الولد وإذا به [لا يتكلم][1] من قوة المرض وغلبته، فأحزنني أمره، فلما خرجنا قال لي الشيخ: إنه لا يموت من هذا المرض، وإنه سيعافى، فكان كما قال [الشيخ][2] ﷺ.

وكذا وقع لابنته السيدة فاطمة ـ أصلحها الله ـ نزل بها مرض وطال أمره، فقال لي: إنها لا تموت منه، وإنها ستعافى، فكان كما قال ﷺ.

وكذا دخلت معه على ولد الفقيه سيدي محمد ميارة لنعوده، وقد نزل به مرض عظيم، فقال الشيخ ﷺ: إنه لا يموت من هذا المرض، وإنه سيعافى فكان الأمر كما قال ﷺ.

وكذا مرض ولد صاحبنا سيدي الحاج محمد بن علي بن عبد العزيز بن علي المرابطي السجلماسي، فقطع منه أبوه الإياس فيما أخبرني به، فذكرت أمره للشيخ ﷺ وقد خرجنا من صلاة الجمعة بجامع الأندلس، وتوجهنا نحو باب الفتوح، فقال ﷺ: ما عنده بأس، وأن أمه لا تحب أن يموت، ولو مات لنزل بأمه ما لا تطيقه، فهو لا يموت، فكان الأمر كما قال ﷺ.

وهؤلاء كلهم في قيد الحياة إلى وقتنا هذا، وهو الثاني والعشرون من ربيع الأول عام ثلاثين ومائة وألف.

ومن ذلك: إنا ذهبنا لزيارة القطب مولاي عبد السلام بن مشيش ـ نفعنا الله به، آمين ـ وبلغنا إليه عند صلاة الظهر، وكنا نظن أن يقيم بنا عنده، وإذا به ﷺ يقول: لا تحطوا عن الدواب حتى نرجع من زيارة الشيخ، فصعدت معه إلى قبر الشيخ عبد السلام وزرناه

---

(١) في (ب) يتكلم.
(٢) الزيادة من (ب).

وقال لي: كيف كانت زيارتك ودعواتك؟ قلت: دعواتي في هذه الزيارة قصرتها عليك، فمنذ جلست للزيارة وأنا أدعو لك بخير، ولم أدع لنفسي فضلاً عن غيري، فقال ﷺ: وكذلك أنا كانت زيارتي كلها لك، ولم أدع لغيرك، ففرحت بذلك غاية الفرح ـ ولله الحمد ـ ثم نزلنا من الجبل، وأمرنا بالذهاب إلى مدينة [«تطاون»](١).

[**فقلت**](٢): يا سيدي، إن المدينة بعيدة، ولا نقدر على وصولها في هذا اليوم، وأمرك مطاع، فعزم علينا، فعلمنا أنه لا يأمر إلا بصواب، فركبنا على الدواب، ولم نزل نسير إلى أن طلع الفجر، فدخلنا مدينة تطاون وبنفس دخولنا أرسلت السماء غرابيلها، وجاءت الأمطار التي لا تطاق، ودامت يومين، فأصعدني ﷺ إلى سطح الدار التي نزلنا بها والأمطار تنزل، فقال: [أتنظر](٣) إلى هذه الأمطار الغزيرة؟ قلت: نعم يا سيدي، فقال: لأجلها سرت بكم ليلاً، فإني لما بلغت إلى مولاي عبد السلام رأيتها، فما [تظن](٤) أن يكون لو صادفتنا هذه الأمطار في تلك [السلاليح](٥) ولا عندنا ما نأكل ولا ما تأكل دوابنا، ثم تدوم علينا، قلت: ما يبقى شيء من المشقة إلا نالنا أن نجونا من الموت، ثم قبَّلت يده الكريمة وقلت: جزاكم الله عنا خيرًا.

ولما خرجنا من «تطاون» بعد اليومين خرجنا والأمطار في أشدِّ ما يكون، فقلنا: يا سيدي، [هربنا](٦) من الأمطار وأردنا أن نرجع إليها، فسكت عنا، ثم خرجنا وأردنا أن نشتري شعيرًا لعلف الدواب فأبى علينا، فخرجنا والأمطار في أشد ما يكون، فلم نسر إلا ميلاً أو ميلين، وانجاب السحاب، وسكنت الرياح، وظهرت الشمس، وطاب الزمان، واعتدل الحال، فعجبنا من ذلك.

ثم لما كان نصف العصر قلنا: يا سيدي، أين ما تأكله الدواب؟ فسأل الناس عن العمارة، فقالوا: بعيدة لا تبلغونها حتى ينتصف الليل، فسكت وجعل يمشي بنا ونحن

---

(١) في (ب) تطوان.
(٢) في (ب) فقلنا.
(٣) في (ب) انظروا.
(٤) في (ب) ظنكم.
(٥) في (أ) السلاليم.
(٦) في (ب) خرجنا.

سامعون مطيعون، فلما قرب المغرب قال: ميلوا ذات اليمين، فخرجنا عن الطريق وعدلنا إلى ذات اليمين، فلم نمش إلا قليلاً ووجدنا [أندارًا](١) لم تدرس، وعين ماء قريبة منها، فقال: انزلوا هنا، فقد أتى الله للدواب بما تأكله، فأمرنا بالأخذ من [الأندر](٢) فأخذنا وأعطينا الدواب [تأكل](٣) وبتنا بأحسن مبيت، ثم لما بلغت العشاء أو قريبًا منه جاء رب الأندر ففرح بنا غاية الفرح، وأعطاه الشيخ ﷺ أكثر من قيمة ما أكلت الدواب، ففرح وسر بذلك وبات معنا وأكل من طعامنا، وصار كأنه واحد منا.

وكذا وقع لنا مرة أخرى قبل أن نبلغ إلى الشيخ [مولاي](٤) عبد السلام، فإنا لما قطعنا عقبة بني زكار، وفات وقت العصر، ونزل من كان قطعها من الناس قبلنا، قلنا له: يا سيدي، قد نزل الناس الذين جاءوا قبلنا، فقال: سيروا، قلنا: يا سيدي، كيف نسير ولا نعرف طريقًا، وليس فينا من يعرفها؟ فقال: سيروا فسرنا، فتركنا الناس ولا دليل معنا، فلم نزل نمشي والله ﷺ يلهمنا الطريق حتى بلغنا إلى عين ماء وبقربها أندر قد درست، فلقينا [ربها](٥) فدلنا على النزول وبتنا أحسن مبيت، وباتت الدواب تأكل التبن، وباتت الدواب الذين نزلوا قبلنا على غير تبن، وسمعنا منه في هذه الزورة الكريمة علومًا من الحقائق والدقائق، وقد كتبنا الكثير منها في هذا الكتاب.

وإذا كان يتكلم معك في الأماكن والمواضع تظن إن لم تكن تعرفه أنه سافر إلى الموضع الذي يخبر عنه، وأنه ممن عاينه ورآه، وما هو إلا الكشف الصحيح، وكم مرة يسافر إلى المواضع البعيدة بلا دليل، ثم يسلك في سفره ذلك طرقًا نافذة، لا يعرفها أكثر الناس، وقد قال ذات يوم للفقيه سيدي علي بن عبد الله الصباغي ـ رحمه الله ـ وكان مسكنه بالصباغات على أربع مراحل من مدينة فاس: إني جئت مع جماعة راكبين على الخيل حتى بلغنا إلى موضع وصفه له وسماه، فتركت القوم هناك ودخلت لمرشدكم، ثم جعل يصفه له ويصف له داره وكأنها نصب عينيه، وذكر له ركوب الخيل سترًا للكشف.

---

(١) في (ب) أندرًا.
(٢) في (ب) الأندر.
(٣) في (ب) ما تأكله.
(٤) الزيادة من (ب).
(٥) في (ب) بها رجلاً.

قال لنا سيدي علي، رحمه الله: [والله][١] لقد وصف وصف المعاين الذي لا يزيد ولا ينقص، ثم قال له: إن الموضع الذي تربطون فيه الخيل فيه قبر ولي من الأكابر، فلا تعودوا لربط الخيل فيه، فبحثوا فوجدوا الأمر كما قال ﷺ فاتخذوا ذلك الموضع مزارًا.

وسمعت الشيخ ﷺ يقول في ذلك الولي: إنه من آبائنا ـ يعني: إنه كان غوثًا ـ وصرح لي بذلك.

وكنت جالسًا معه ذات يوم فجاءه رجل من أهل «زا» بزاي معجمة بعدها ألف ناحية معروفة، فقال: من أين أنتم؟ فقال له: من أهل «زا» فجعل ﷺ يصف له البلد، ويذكر له مواضع وعلامات، والرجل يصدقه ويظن أنه ممن قدم إلى الموضع، ثم لما قام الرجل التفت إليّ وقال: إن الناس يحبون الكشف، وفيه ضرر عظيم على الولي، وعلى من يريد ذلك منه.

أمّا ضرره على الولي؛ فلأن فيه نزولاً عن مشاهدة الحق إلى مشاهدة الخلق، وذلك انحطاط عن الذروة العليا.

وأمّا على الذي يقصده من الولي؛ فلأنه لا يقصد من الولي الكشف والكرامة إلا من كانت محبته على حرف، فإذا ساعفه الولي فقد أقره على حالته وأبقاه على عمايته.

وسيأتي ـ إن شاء الله ـ شرح هذين الأمرين في أثناء الكتاب.

ومن ذلك: إن بعض الأشراف كان يقرأ عليّ شيئًا من العلوم الدقيقة، فكنت أفسرها له بحسب ما عندي، فكان يعجبه ذلك ويقول: ما وجدنا في الفقهاء من يشرح لنا هذا الشرح الذي تشرحه أنت، فبينما أنا أشرح له ذلك الكتاب فإذا بصاحب الكتاب أشار إلى مسألة كبيرة، فيها سر من أسرار الله تعالى، فقال لي الشريف: ما معنى هذا الكلام؟ فقلت [له][٢]: لا أدري، وخفت من إفشاء السر، فلم يزل الشريف [يرغب][٣] فقلت له: والله لا أفسرها لك إلا إذا أعطيتني العهود والمواثيق أنك لا تتكلم بما تسمع مع قريب ولا

(١) الزيادة من (ب).
(٢) الزيادة من (ب).
(٣) في (ب) يطلب.

مع بعيد، فأعطاني [ذلك](١) وفسرت له المعنى المراد، وأجبته عن جميع الإشكالات الواردة العارضة حتى ظهرت المسألة ظهور الشمس، ففرح الشريف بذلك غاية الفرح، فقلت له: إن لقيت شيخنا الإمام ﷺ يومًا من الأيام في دهرك، وانجر الكلام إلى هذه المسألة، وأراد أن [يشرحها](٢) لكم، فأظهر الجهل، وصور نفسك بصورة من لم يسمعها ولا طرقت سمعه، فأعطاني العهد على ذلك أيضًا.

ثم إني التقيت مع سيدنا الشيخ في ذلك اليوم، فكان أول ما بدأني به أن قال لي: تكلمت مع الشريف فلان بكذا وكذا، وذكر المسألة، فقلت له: يا سيدي، نعم ولم أرد إلا الخير، ثم جعلت أفتش عن خاطره فإذا به ـ والحمد لله ـ مثل الحليب، وكشوفاته ﷺ لا تنحصر، ومن أراد [جمعها و](٣)جمع كراماته احتاج إلى تأليف خاص، مع أن كل ما في هذا الكتاب من الكرامات [من كراماته](٤).

ومن كراماته ﷺ: تأثير كلامه في القلوب، فقد جاءه فقيه من الفقهاء ذات يوم، فقال له: يا سيدي، ادع الله لي أن يقطع الوسواس من قلبي، فقال ﷺ: الوسواس لا يكون إلا مع الجهل بالطريق، فمن قصد [إلى](٥) مدينة وهو جاهل بطريقها فإن الخواطر تختلف عليه، فيقول له خاطره: الطريق هكذا فيتبعه، ثم يقول له آخر: بل الطريق من ها هنا، فيبقى حيرانًا ولا يدري أين يذهب، والعارف بالطريق يسير وقلبه سالم من ذلك، وطريق الدنيا والآخرة هو الله تعالى، فمن عرف هذا ربح خيري الدنيا والآخرة، وأحياه الله حياة طيبة، ومن جهل هذا كان على الضد، فلما سمعت هذا الكلام رحمني الله به ﷻ فصار الخاطر إذا توجه لقضاء حاجة من غيره تعالى جذبه جاذب من غيره ورده إلى الله ﷻ ونطلب من الله تمام ذلك.

وسمعته يقول: المؤمنون إذا ناموا ناموا على الله، وإذا استيقظوا استيقظوا على الله، فلما سمعت منه هذا الكلام سكن معناه في قلبي ـ ولله الحمد ـ فأنا في النوم والله تعالى في قلبي.

(١) في (ب) العهد.
(٢) في (ب) يفسرها.
(٣) الزيادة من (ب).
(٤) الزيادة من (ب).
(٥) الزيادة من (ب).

وسمعته يقول: إذا ذهب خاطر العبد مع غير الله فقد انقطع عن الله ﷻ ثم من الناس من يرجع إلى الله ﷻ عن ساعة، ومنهم من يرجع عن ساعتين، ومنهم من يرجع عن أقل، ومنهم من يرجع عن أكثر، فلينظر العبد كيف قلبه مع الله ﷻ، فصار هذا الكلام ـ ولله الحمد ـ بمنزلة اللجام القلبي، فكلما أراد أن يسرح في بحار الغفلة جذبه هذا الكلام.

وسمعته مرة يقول: إن العبد لا ينال معرفة الله تعالى حتى يعرف سيد الوجود ﷺ، ولا يعرف سيد الوجود ﷺ حتى يعرف شيخه، ولا يعرف شيخه حتى يموت الناس في نظره، فلا يراقبهم ولا يراعيهم، فصلّ عليهم صلاة الجنازة، وانزع من قلبك التشوف إليهم، فرحمني الله بهذا الكلام حين سمعته، وكان هو سبب دخول الخير عليّ.

ولهذا الكلام تفسير عريض وشرح طويل، ولو تتبعنا هذا الباب لطال، وفيما ذكرناه كفاية.

وقد طلبت من الفقهاء أصحابه ﷺ أن يقيدوا بعض ما عاينوا من كراماته، فكتب إليّ الفقيه [الثقة الرضي](١) أبو عبد الله سيدي محمد بن أحمد بن حنين الزيراري، فعرضت ما كتبه على الشيخ ﷺ فأقرّ به وصدقه، ونص ما كتبه:

الحمد لله وحده، ومما منّ الله به عليّ أني لما التقيت مع شيخنا الإمام الغوث الهمام مولاي عبد العزيز ابن مولاي مسعود، كان قلبي متعلقًا جدًّا بأمور الدنيا من حرث وتجارة ونحو ذلك، حتى كنت من ذلك في غاية الكد والتعب، وكانت الدنيا هي المقصودة، والآخرة أضغاث أحلام، وكنت ممن رزقه الله شيئًا من العلم، وعزمت على أن أدخل في زمرة العدول أو أسعى في تولية خطة القضاء ـ والعياذ بالله ـ فرحمني الله ﷻ حين لقيته، وطهر الله قلبي، وذلك ببركته وحسن سياسته، فإني لما التقيت معه وأخذت عنه، ورأى ما بي من العلة المعضلة، أمرني ببيع ما عندي من ثيران الحرث، وأن أفعل بها كذا وكذا، وذكر لي أمرًا لا ينافي الأسباب الدنيوية، وهو في الباطن يريد أن يمحوها من قلبي.

فلله در هذا الإمام، ما أحسن سياسته؛ إذ ما من حالة خبيثة يريد أن ينقلني منها إلا وينقلني وأنا لا أشعر حتى أجد نفسي فيما هو أطيب منها وأحسن، ويظهر لي خبث الحالة الأولى وظلامها عيانًا.

---

(١) في (ب) الأرضى.

وهذا دأب هذا الإمام العظيم معي ومع سائر إخواني، بحيث إذا وجدك على حالة قبيحة لا يقول لك: اترك [في تربيته](١) هذا الأمر صراحة، ويشنع عليك في ذلك، [ويتبرأ](٢) منك إذا لم تترك؛ إذ ربما تأبى النفس ذلك، ويدعوها ذلك إلى المخالفة، بل يرفق بك ويحسن لك ما أنت عليه بعض التحسين، ثم يسايرك شيئًا فشيئًا حتى تجد نفسك على حالة لم تكن عليها، وتستقبح ما كنت عليه مع انشراح صدر وطيب نفس، ولما أمرني ﷺ ببيع الثيران بقيت أيامًا، وغسل الله [من](٣) قلبي حب الفلاحة، بل صرت كارهًا لها، ثم أمرني ببيع ما عندي من الكتب كلها، وأن أفعل بها شيئًا يحبه قلبي وتفرح به نفسي، ثم بعد ذلك حصل لي طمع في الناس، وصرت [أتشوق](٤) لما في أيديهم، فرقاني ﷺ حتى صرت لا أشاهد للناس نفعًا ولا ضرًا فضلاً عن الطمع فيهم.

ومن كشوفاته ﷺ: أن قال لي ذات يوم في أول ما لقيته: هل عندك شيء من السمن؟ فقلت [له](٥): نعم سيدي، عندي كذا وكذا، فقال: ائتني ببعضه، فقلت: نعم، فقال بعض الإخوان: لعل ما بقي من السمن [لا](٦) يوصل إلى وقت رخاء السمن، فقلت: نعم، فقال ﷺ: هل بقي [عندك](٧) ما يوصلك إلى الوقت الفلاني؟ قلت: نعم، فقال: ائتني بما زاد على ذلك، ثم إنه لما وصل ذلك الوقت أتاني رجل بشيء من السمن لوجه الله من حيث لا أحتسب، فكفاني إلى [وقت](٨) رخائه.

ومنها: إني كنت أستشيره ﷺ ونفعني به في بيع شيء من الزرع كان عندي، فقال لي اليوم الخامس من الشهر الفلاني: بع ما تريده، فلما وصل ذلك الشهر كان غاية بيع الزرع في اليوم الخامس والسادس منه، فلما كان اليوم السابع أعطى الله المطر الغزير، فرخص الزرع غاية، والحمد لله.

---

(١) الزيادة من (ب).
(٢) في (ب) يتبرم.
(٣) الزيادة من (ب).
(٤) في (ب) أتشوف.
(٥) الزيادة من (ب).
(٦) في (ب) إلّا ما.
(٧) الزيادة من (ب).
(٨) الزيادة من (ب).

ومنها: إني ذهبت لزيارته وكانت إحدى زوجاتي حاملاً، فتكلمت معه في شأنها، فقال لي: إنها تلد ولدًا ذكرًا اسمه أحمد، فلما قدمت ذكرت لأهلي ذلك، فكان كما قال ﷺ ثم إن زوجتي الأخرى دخلتها غيرة؛ حيث ولدت الأولى ذكرًا، وكانت ترضع بنية ففطمتها قبل الأوان لعلها تحمل، فلمتها على ذلك، فقالت: إني حامل وخفت على البنت، وأقسمت على ذلك، فلما ذهبت لزيارة الشيخ ﷺ ذكرت له القصة، فقال: كذبت، ليس عندها شيء، فرجعت فوجدتها كما قال ﷺ فمكثت ثلاثة أشهر ومضيت لزيارته، فقال لي: أحملت زوجتك؟ فقلت: لا أدري يا سيدي، فقال: إنها حامل [منذ][1] خمسة عشر يومًا، وهو ذكر ـ إن شاء الله ـ فسمه باسمي، وهو يشبهني ـ إن شاء الله ـ فلما رجعت أعلمت الزوجة بها قال وفرحت، ثم ولدت ذكرًا كما قال ﷺ وهو أشبه الناس به بشرة.

ومنها: إن الزوجة الأولى حملت ثانيًا، فسألته عن حملها، فقال لي: بنت وسمها باسم أمي، فكان الأمر كما قال، فزادت عندنا بنت وسميتها باسم أمه ﷺ.

ومنها: إني كنت جالسًا معه ذات يوم وهو يمازحني، فقال لي: هل فعلت كذا وكذا؟ وذكر لي أمرًا من جملة المعاصي، فقلت له: لا ظنًّا مني أني لم أفعله، فقال لي: انظر وهو يضحك، فأقسمت له بأني لم أفعله ثانيًا وثالثًا، ثم إني في المرة الرابعة تفكرت وإذا بي قد فعلت ذلك منذ خمسة عشر عامًا في بلدة بعيدة، بينها وبين فاس نحو من سبع مراحل، فاستحييت فعلم بي وقال: أتحلف الآن؟ قلت: لا يا سيدي، وقبلت يده الكريمة، فقلت له: ومن أين لك بهذا يا سيدي؟ فقال: وهل يغيب عليه تعالى شيء، وكذا من أطلعه الله على أسراره، ثم نبأني بأمور فعلتها قبل ذلك وبعد ذلك، وتبت إلى الله على يده توبة نصوحًا، والحمد لله.

ومنها: إني كنت جالسًا ذات يوم أمامه وهو متكئ على يمينه ﷺ وهو بين النوم واليقظة، فخطر بقلبي خاطر سوء ـ والعياذ بالله ـ ففتح عينيه وقال: ما الذي قلت؟ فقلت: يا سيدي، لم أقل شيئًا، فقال: ما الذي قلت في قلبك؟ فاستحييت منه وتبت إلى الله.

ومنها: إني خلوت ذات ليلة بإحدى زوجاتي وكانت مستلقية، فكنت أمازحها حتى حصل مني النظر إلى عورتها قصدًا وعمدًا، فلما قدمت عليه للزيارة وكان بيني وبينه

---

(١) في (ب) قبل.

مرحلتان جعل يمازحني حتى قال: ما تقولون أنتم أيها العلماء في النظر إلى عورة المرأة؟ فقلت له ما قالت العلماء، فقال لي: وهل تفعله؟ فقلت: لا [نسيانًا][١] لما وقع مني، فقال: حتى في الليلة الفلانية؟ فاستحييت وتذكرت ما فعلت، فقام عني وقال [لي][٢]: لا تعد وجه نظرك إلى الكعبة، إن شاء الله تعالى.

ومنها: إني جمعت بين زوجتي ذات ليلة في مبيت واحد؛ لعذر منع إحداهما من مبيتها بمسكنها، فباتت كل واحدة منهما على فراش وحدها، وبت أنا على فراش وحدي، وبقي فراش رابع في البيت لم يبت عليه أحد، ثم دعتني نفسي إلى وطء إحدى الزوجتين، فوطئتها ظنًّا مني أن الأخرى نائمة، ثم لما نمت شيئًا قليلاً قمت ووطئت الأخرى ظنًّا مني أن الأولى نائمة أيضًا، ثم لما قدمت لزيارته وكنت أكثر منها وإن بعدت المسافة، جعل ذات يوم يمازحني حتى قال: ما تقولون في جمع المرأتين في مسكن واحد مع وطئهما؟ فعلمت أنه أشار إلى ما وقع مني، فقلت: سيدي، وكيف علمت ذلك؟ فقال: ومن نام على الفراش الرابع؟ فقلت: سيدي، ظننت أنهما نائمتان، فقال: ما نامت الأولى ولا الثانية على أنه لا يليق ذلك ولو نائمتين، فقلت: سيدي، ذلك هو المذهب وأنا تائب إلى الله.

ومنها: إني كنت ذات يوم جالسًا عنده مع جماعة من الإخوان، وسيدتنا زوجته لم تكن بالدار، فأراد بعض أصحابنا الحاضرين أن ينزل لدار الوضوء؛ ليقضي حاجته، وكانت دار الوضوء مقابلة لباب الدار، حتى أن الداخل قد يرى من بها، وإذا به ﷺ قد صعد مسرعًا وقفل علينا باب المسكن ونزل مسرعًا، فلم ندر لم فعل ذلك وبقينا متحيرين، وإذا بالسيدة قد دخلت، فعلمنا أن ذلك كان لذلك.

ومنها: إني قدمت لزيارته ﷺ [فجلس معي في مسكن من مساكن داره حتى كان وقت النوم فقال: نم ونزل، فأزلت ثيابي][٣] واستلقيت [على ظهري وأنا وحدي][٤]، وإذا بيد دخلت معي ودغدغتني في [تراقي][٥]، فضحكت قهرًا وضحك هو ﷺ وهو بموضع

---

(١) في (ب) ناسيًا.
(٢) الزيادة من (ب).
(٣) في (ب) وهو جالس بموضع صبيته بالسفل في البيت، وأنا بأعلى المسكن الذي هو فيه.
(٤) الزيادة من (ب).
(٥) في (ب) صرافي.

مبيته بالسفل في البيت، فعلمت أنه الذي فعل ذلك.

ومنها: إني سافرت لزيارته مع جماعة من الإخوان، فلما [قفلنا][(١)] من عنده ولم يكن معنا سلاح ولا ما نرد به اللصوص أخطأنا العمارة، وبتنا بموضع قفر مخوف مأوى اللصوص، فبتنا ونام الأصحاب وبقيت أنا ورجل، فأحسسنا بالأسد قريبًا منا، فقلت له: لا نوقظ أصحابنا؛ لئلا تصيبهم فجعة، وكان فيهم من لم يجرب الأمور، وعسى الله أن يدفعه عنا، فلما قرب الصباح أخذنا [في][(٢)] السير، فوجدنا بقربنا أرنبًا كأنها خرجت روحها الساعة.

ثم لما قدمت مرة أخرى لزيارته مع بعض الإخوان لم أنم، وجعلت أحرس الدواب، فلما قدمنا عليه قلت: يا سيدي، أردت أن أنام؛ لأني البارحة لم أنم، فقال: ولم؟ فقلت: [لأني][(٣)] كنت أحرس الدواب، فقال لي ﷺ: وما تنفع حراستك وكيف بكم لو جاءكم القطاع ليلة كذا؟ وأشار إلى ليلة الأسد، قلت: يا سيدي، وكيف ذلك؟ فقال: أليس لما بلغتم إلى الوادي الفلاني لحق بكم ثلاثة من الناس؟ فقلت: نعم، فقال: [إنهم][(٤)] لما صعدوا إلى الجبل وجدوا أربعة رجال ينظرون من يقطعون عليه؛ فلما وصلوهم أعطوهم خبركم وتبعوكم السبعة، ينظرون أين تبيتون، فلما بتم جلسوا ينتظرون نومكم، فلما ظنوا نومكم قدموا يطلبونكم فوجدوا أسدًا قريبًا منكم، فقالوا: كيف نفعل إن قاتلنا الأسد فطن القوم، وإن ذهبنا إليهم [منعنا][(٥)] الأسد، فخلوا سبيلكم وذهبوا إلى قافلة أخرى، فلما لم يحصلوا على شيء منها رجعوا إليكم من جهة أخرى، فتعرض لهم الأسد أيضًا من تلك الجهة، وظنوه أسدًا آخر.

فقال بعضهم: ما بال هؤلاء القوم، جئناهم من جهة كذا فحماهم الأسد، ثم جئناهم من جهة أخرى فحماهم الأسد، فأرادوا أن يفهموا، ثم طبع الله على قلوبهم،

---

(١) في (ب) رجعنا.
(٢) الزيادة من (ب).
(٣) الزيادة من (ب).
(٤) الزيادة من (ب).
(٥) في (ب) معنا.

فسألته عن الأرنب، فقال: إن الأسد فيه [عزة][١] نفس كابن آدم، وكما أن ابن آدم إذا نزل بوجهه ذباب فإنه يطرده، فكذلك ذلك الأسد بينما هو جالس وإذا بالأرنب بين يديه ولم تره فقتلها.

ومنها: إني لما أردت أن أتزوج الزيرارية، وكنت غير عارف بصفتها، فوصفها لي بما وجدتها عليه، وذكر لي فيها أمورًا لا يعلمها إلا الله، ثم لما عزمت على الدخول قال لي: [أنا][٢] ليلة الدخول أكون عندكم، فقلت له: وبم أعلم ذلك يا سيدي؟ فقال لي: [أن أفعل][٣] لك علامة، ثم لما اجتمعت بالزوجة وكلمتها بعض الكلام وإذا بالدم يسيل من خياشيمها، فقلت لها: وما بالك؟ فقالت لي: أنت ضربتني على أنفي، فسكت عنها وعلمت أنه فعل سيدنا الإمام، ثم لما ذهبت لزيارته وذكرت له القصة قال لي: نعم، ولو لم يهبط ذلك الدم من [خياشيمها][٤] لمرضت، وذلك أنها جاءت من موضع بعيد وكان يومًا باردًا فامتخض فيها الدم.

ومنها: إني كنت معه ﷺ ذات يوم بداره وهو ﷺ بالسفل يصنع شيئًا، وأنا بالفوق واقف أنظر إلى سطح أمامي، وإذا بامرأة صعدت عليه، فرأيت بوجهها حمرة، فتأملتها أحمرة دم أم حمرة عكار، فبأي نظرة مني إليها نظر إليّ وقال: اتق الله، هذا مع حضوري، وجعل يضحك ﷺ.

ومنها: إني ذهبت لزيارته مرة وكنت راكبًا على بغلة، فلما [وصلت][٥] موضعًا صعبًا نزلت عن الدابة وتركتها تمشي، فلما جاوزت المحل وأردت أن أركب فرت، فجعلت أصيح: يا سيدي مولاي عبد العزيز، [فأتاح الله لي أناسًا][٦] فقبضوها، فلما وصلته جعل يضحك ويقول: ما يفعل عبد العزيز؟ أنت بموضع كذا وهو بموضع كذا، نعم لو كنت معك لأعنتك، فقلت: يا سيدي، كل ذلك عليك سواء.

---

(١) في (ب) غيرة.
(٢) في (ب) آن.
(٣) في (ب) أنا أعمل.
(٤) في (ب) أنفها.
(٥) في (ب) بلغت.
(٦) في (ب) ففتح الله في الناس.

ومنها: إني كنت جالسًا ذات يوم بزاوية سيدي عبد القادر الفاسي، مستندًا إلى حائط القبلة وأمامي سارية لم يستند عليها أحد ولا بيني وبينها أحد وأنا أذكر الله، ثم بعد مدة قمت لأنصرف إلى داره ﷺ فمشيت خطوات قليلة، فنسيت شيئًا فرجعت إليه، فلم أشعر إلا وسيدنا الإمام واقف مع السارية، فلبس سلهامه وأنا أجزم بأنه لم يكن هناك أحد، فقلت: سيدي ومولاي، كم لك بهذا الموضع ومتى جئته؟ فقال: حين شرعت تذكر الذكر الفلاني، وكنت أذكره سرًّا بحيث لا يسمعه الذي جنبي، فعلمت أنه كان على حالة احتجب فيها عن العيون.

ومنها: إنه كان وقع لي مع امرأة أجنبية شيء يكرهه الشرع [الشريف][1] إلا أنه خفيف، فكنت ذات يوم جالسًا معه وأنا أتكلم معه على شأن النساء حتى ذكرناها، ولا أدري لأي سبب ذكرناها، فقال لي بديهة: أرى بينك وبين تلك المرأة خيطًا أزرق، فلم ذلك؟ فتذكرت ما كان واستحييت، وكان مضى لتلك القصة نحو من الخمس سنين.

ومنها: إني استشرته مرة في شراء شيء من أمور [الزاد][2]، فقال لي: لا، ما عندك ما يكفيك، بل اشتر السمن، إنه ليس عندك ما [يوصلك][3] إلى أوانه، فقلت: نعم سيدي، غير أن فلانة لها عندي سمن أمانة، وكنت يومًا ذكرت قلة السمن وهي عندي، فقالت: ها السمن عندي كثير، فما يخصك منه فخذه، ولم أدر مرادها، هل عطية لوجه الله أو سلف، أظنها صادقة، فسكت عني شيئًا قليلاً وقال لي: اشتر السمن، وأعادها ثانيًا وثالثًا، فعلمت أن المرأة لا تفي بشيء مما قالت، فكان الأمر كذلك؛ وذلك أنه لما كان وقت بيعه قدمت وباعته وهي بداري، وهي تعلم حالي، وأنه ليس عندي [شيء][4]، ثم يسر الله عليّ أكثر مما كنت أرجوه منها ببركة الشيخ ﷺ.

ومنها: إن بعض الناس كان أسلفني دراهم، وترك دراهم أخرى أمانة عندي، ثم لما قدم ليأخذ سلفه وأمانته، ولم يكن عندي شيء مما أسلفني، ولا تيسر لي ما أبيعه في قضائه،

---

(١) في (ب) العزيز.
(٢) في (ب) الدار.
(٣) في (ب) يكفيك.
(٤) في (ب) سمن.

وكنت أظنه بطيء الاحتياج له، فأخرجت له الأمانة، وجعلت أذكر الشيخ [سلفي](١) لكي لا يذكر لي السلف، فسكت ولم يذكر لي ذلك إلى الآن، وذلك نحو الستة أشهر، مع أنه قدم ليأخذ الأمرين لا محالة، فالحمد لله على ذلك. انتهى ما كتبه.

وكتب لي الفقيه الثقة الصدوق سيدي علي بن عبد الله الصباغي ـ رحمه الله ـ ما رأى من كرامات الشيخ ﷺ فعرضته على الشيخ حرفًا حرفًا، فأقر به وصدقه في ذلك؛ لأن غرضي ألَّا أكتب في هذا المجموع إلا ما رأيته بعيني أو سمعته من الشيخ ﷺ بأذني، ونص ما كتب:

الحمد لله وحده، هذا تقييد ما رأيت من شيخنا الإمام الأستاذ الأكبر، الغوث الأشهر، سيدي ومولاي عبد العزيز ابن مولاي مسعود [الدباغ](٢) من الشرفاء الفاسيين، الشهير نسبهم بالدباغين ﷺ من الكرامات والمكاشفات.

فمنها: ما وقع لي أول ما رأيته وصحبته وأخذت عنه ﷺ فحين رجعت إلى أهلي وبقيت نحو العشرة الأيام وقعت عند بعض قرابتي مسألة كبيرة، وعلم بها بعض الناس، وبعضهم حضرها نحو العشرين نفسًا ما بين صغير وكبير، ذكر وأنثى، وكانت تلك المسألة من المسائل التي إن سمع بها المخزن يهلك القبيلة كلها، فخرجت إلى الخلاء [وعيطت](٣) عليه ﷺ ثلاث مرات برفع صوتي، وقلت: يا سيدي، استر هذه القبيلة من نار هذه المسألة، فصارت تلك المسألة كأنه سقط عليها جبل أو رمي بها في البحر، وسكت جميع من علم بها وصار بمثابة من لم يعلم بها، وإن سمع بعضهم من أحد خفية يكذب بها، وحفظ الله القبيلة ومن فعلها ببركته ﷺ.

ومنها: ما وقع لي حين رجعت إليه في المرة الثانية، فرأيت من مكاشفاته ﷺ وحسن جوابه للمشاورين له، فقلت: يا سيدي، فاز وسعد من هو قريب منك، كلما وقعت له مسألة يجدك قريبًا منه ويشاورك فيها، وكيف أصنع أنا يا سيدي في مسائل، وأنا منك على مسيرة أربعة أيام، فمن أشاور فيها؟ فقال لي ﷺ: كلما عرضت لك مسألة ولم تدر ما تفعل

---

(١) في (ب) بقلبي.
(٢) الزيادة من (ب).
(٣) في (ب) وناديت.

فيها فاخرج إلى الخلاء وصلّ ركعتين بـ﴿قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ﴾ [الإخلاص:١] [إحدى عشرة][١] مرة في الركعة، وبعد أن تسلم [عيط][٢] عليّ ثلاث مرات، واعتقد واستحضر أني حاضر معك، وشاورني في مسألتك، فإنك تجد الجواب، فعرضت لي مسألة، وكثر عليّ [الهم][٣] فيها.

فخرجت إلى الخلاء وفعلت كما أمرني ﷺ فوجدت المخرج قريبًا ببركته ﷺ وكان الإخوان إذ ذاك بين يدي الشيخ ﷺ وأنا منه حينئذ [على][٤] مسيرة أربعة أيام، فلما التقيت بعد ذلك مع الإخوان قالوا لي: هل كان منك كذا وكذا يوم كذا وكذا؟ فقلت: نعم، فقالوا: نحن بين يدي الشيخ ﷺ فإذا به ضحك وقال: مسكين سيدي علي بن عبد الله، هذه النية فيه خرج إلى الخلاء وينادي: يا مولاي عبد العزيز، أين مولاي عبد العزيز منه؟ وحين التقيت به ﷺ قال لي: لا [تهتم][٥] بمسألة أبدًا، ولو بلغت بك الحاجة ما بلغت، فمن [حين][٦] قال لي هذا الكلام أذهب الله عني الهم كله، فما أراد الهم أن يقرب مني في مسألة إلا وييسرها الله عليّ قبل أن أهتم بها ببركته ﷺ.

قلت للشيخ ﷺ: مسألة الركعتين خاصة بسيدي علي بن عبد الله أو لكل من أرادها؟

فقال ﷺ: هي لكل من أرادها، فحمدت الله على ذلك.

قال سيدي علي:

ومنها: ما وقع لي معه ﷺ حين ودعته وودعني في المرة الأولى، وكان ذلك في آخر رمضان، فقال لي ﷺ: تأتي بكبش نعيد عليه ـ يعني: العيد الكبير ـ فقلت له: نعم يا سيدي، فحين قرب العيد اشتريت كبشين، وكان حينئذ بعض الأخلاء من الإخوان عنده، وكان بيني وبين ذلك الأخ مسيرة يومين في نصف المسافة بيني وبين الشيخ ﷺ فقال له: إن فلانًا

---

(١) في (ب) عشر.
(٢) في (ب) ناد يا عبد العزيز.
(٣) في (ب) الفهم.
(٤) الزيادة من (ب).
(٥) في (ب) تغتم.
(٦) في (ب) حيث.

يقدم عليك بكبشين، فخذ أحدهما وعيد به، واقدموا بالآخر، وحين قدمت على ذلك الأخ قال لي ما قال له الشيخ ﷺ فلم تأخذني ريبة في ذلك لما رأيت من مكانته عند الشيخ ﷺ فقلت له: خذ ما شئت منهما، فقال: نأخذ الأدنى ونذهب للشيخ بالأجود، فتركنا واحدًا وذهبنا بالذي ظهر أنه الأجود، فلما رآه الشيخ ﷺ قال لي: عملها بك فلان، أخذ الأجود وأتيت لي بالأدنى، فقلنا له: يا سيدي، هذا الذي ظهر لنا أنه أجود وأسمن، فقال: ذلك شحمه في كرشه، وهو لم يره قط، فخرجنا يوم ذبحهما كما ذكره ﷺ.

وحين تركنا كبشًا وذهبنا له بالآخر فقلنا: كيف نصنع لهذا الكبش، وكيف [يوافقنا](١) ونحن راكبان؟ فيسر الله علينا رفقة من الغنم ذاهبة إلى فاس، ولم يكن معنا من هو [راحل](٢) إلا أخ لي من أبي، فتركناه مع ذلك الكبش ليأتي به مع تلك الرفقة، فلم يلحق بنا إلا بعد يوم من لحوقنا للشيخ ﷺ فلما رآه الشيخ ﷺ قال له: أنت أتيتنا بكبش ونحن أعطيناك ولدًا.

فقلت له: يا سيدي، تلك حاجته، وكان أخي شديد الاشتياق إلى الأولاد، وله زوجة صغيرة لها نحو الخمس عشرة سنة عنده، ما ولدت قط حتى يئست من الولادة، وحتى كانت تتهم زوجها أنه هو العقيم، فلما ربطنا الكبش في مكان وذهب بنا الشيخ ﷺ لمسكنه، وكان ذلك ليلاً، فلما رأى أخي على ضوء المصباح قال له: ادن مني، فدنا منه وكشف عن جبهته، وقال: هذا ما هو غندور عندك يا فلان ثلاث مرات، ثم قال له ﷺ: كيف تسميه؟ فقال له: يا سيدي، سمه أنت كيف شئت، فسكت ساعة وقال: سمه رحالاً، ولم يكن هذا الاسم عندنا في القبيلة، ولم يتسم به أحد من أجدادنا، فقال له بعض الإخوان الحاضرين: من أين لك يا سيدي هذا الاسم الغريب الذي لم يكن عندهم قط؟ فضحك ﷺ فقال: هذا الذي رأيت.

فلما رجعنا إلى أهلنا وجدنا امرأة أخي ظهر بها حمل، ولم يكن لهم بها علم قبل، فزاد عنده ولد وسموه رحالاً كما ذكر الشيخ ﷺ وتعجب الناس من ذلك.

---

(١) في (ب) تغنم.
(٢) في (ب) راجل.

* **قلت**: وإنما سماه رحالاً إشارة إلى أنه [سيرحل][١] ولا يدوم، فكان الأمر كذلك، فإنه عاش نحو الثلاثة الأعوام ومات، فكان في هذا الاسم كرامة أخرى.

وقد سمعت الشيخ ﷺ يقول لوالده بعد [موته][٢]: المرة الأولى أعطيناك فيها رحالاً، وفي هذه المرة نعطيك من يقيم عندكم ولا يرحل عنكم.

ثم قال سيدي علي:

ومنها أيضًا: إني ذهبت بعض الأيام إلى الصيد مع صاحب لي، وكنت رجلاً صيادًا [بالمكحلة][٣] [فتغدينا][٤] في بيوتنا وقت الفطور، وخرجنا ولم نحمل معنا خبزًا؛ لأنا ظننا ألَّا نبطئ، فأخذنا شاة غزال بأسفل جبل في بلادنا يسمى [جليدًا] بأرض صحراء كثيرة الغزلان فيها، فأبطأ بنا الحال، وأخذنا الجوع عشية، وندمنا على عدم حمل الخبز معنا، فلما [زرته][٥] ﷺ بعد ذلك قال لي: لم ذهبت إلى الصيد يوم الأربعاء ولم تحمل معك ما يؤكل، فلقيك رجل وفتشك فلم يجد عندك ما يؤكل، ثم أخذتم شاة غزال بأسفل الجبل؟ فأعطاني نعت البلد كلها ونعت الجبل، وقال لي: إن برأس ذلك الجبل عوينة ماء صغيرة قدر القصعة، لا تيبس ولا تسيل خارجًا عن محلها، لا تزيد ولا تنقص، وأنا لا أعرفها، ولا يطلع إلى رأس الجبل إلا قليل من الصيادين وقليل ما هم، فلما رجعت سألت عن تلك العوينة فذكرها لي من يعرفها كما نعت الشيخ ﷺ.

* **قلت**: والرجل الذي [لقيته وفتشته][٦] هو الشيخ ﷺ سألته ﷺ عن الرجل ففسره لي، وسمعته يقول: لا إله إلا الله، كم صلينا عند تلك العوينة التي برأس الجبل أنا وسيدي منصور، وكان يعجبنا ذلك الموضع لعلوه.

ثم قال سيدي علي:

---

(١) في (ب) يترحل.
(٢) في (ب) مدة.
(٣) في (ب) بالبندقية.
(٤) في (ب) فأكلنا الفرا.
(٥) في (ب) رأيته.
(٦) في (ب) لقيه وفتشه.

ومنها: إنه نعت لي بلادي كلها مرة أخرى، ونعت مسكننا كما هو، ونعت غيره وهو منه على مسيرة أربعة أيام، ولم يره قط، وكان كما وصف ﷺ لم يزد ولم ينقص.

ومنها: إني لما زرته مرة أخرى ونعت مسكننا كما هو قال: لم تربط خيلك في ذلك الموضع وهناك رجل صالح مدفون عند أرجل خيلك؟ وما رأينا أثر قبر قط ولا بإزائنا مقبرة، وبيننا وبين المقبرة نحو نصف ميل، فقال لي ﷺ: بمراحك سبعة قبور ولا عليك فيها إلا ذلك القبر الذي عند أرجل الخيل، فحول خيلك عن ذلك الموضع ووقره واحترمه، واجعل عليه حائلاً يحول بينه وبين ما يؤذيه.

فقال له بعض الإخوان الحاضرين: يا سيدي، ممن هو؟ فقال: من عرب بين «وجدة» و«تلمسان» كان معاشرًا للصباغات، وكانوا يعدونه من جملة الطلبة، وليس معروفًا عندهم بالصلاح، ومات ودفن هناك، فأخذنا نسمي له الأعراب التي بين وجدة وتلمسان وهو يقول: لا، حتى ذكرنا له أولاد رياح، فقال: منهم، وهو ﷺ لم يعرف بلادنا ولا مسكننا، ولا وجدة ولا تلمسان، ولا الأعراب التي بينهما، ولم يطأها ولا رآها قط، ثم قال لي: إن أردت أن تقف عليه فخذ الفأس وانبش به تجده.

فقلت له: يا سيدي، أين هو في المراح؟ فقال لي: ها هو غربي بيت ابنك خارجه مقابلاً للمطمورة التي من جهة باب المراح، وعندنا في المراح ثلاثة مطامير، ولما رجعت إلى أهلي ذكرت لهم ذلك وأخذنا الفأس ونبشنا به في الموضع الذي وصف، فوجدنا الأمر كله كما ذكر ﷺ وتعجب الناس من ذلك.

قلت للشيخ ﷺ: ولم كانت القبور التي في مراحه لا بأس عليه فيها إلا قبر هذا الولي؟ فقال ﷺ: لأن روح هذا الولي كانت مسرحة، وروح غيره كانت محبوسة في البرزخ، وقد طال الأمد على القبور، ومر عليهم نحو الثلاثمائة سنة، فزال عني الإشكال، والحمد لله على ذلك.

ثم قال سيدي علي:

ومنها: إنه ذهب معي لزيارته ﷺ ابن عمي وكان نسيبي، فجئنا للشيخ وتركنا امرأة

ابن عمي حاملاً، ونية ابن عمي في زيارته أن يشكو للشيخ بقلة [الشيء][(١)] وغلبة الفقر، وذلك أول زيارته للشيخ ﷺ فلما رآه ﷺ قال له: ألك زوجة؟ قال: نعم يا سيدي، فقال له: أهي حامل؟ قال: نعم يا سيدي، فقال له: أتحب أن تلد لك بنتًا مرزوقة؟ فقال: نعم بالفرحة عليّ يا سيدي، ذلك الذي نحب، فجمع له ﷺ بين خبر البنت وبين تيسير أمر الرزق الذي هو بغيته، فلما رجع إلى أهله وجد امرأته ولدت بنتًا، وحضر ضحوة سابعها، فوجدهم ينظرون كيف يسمونها.

وكان الشيخ ﷺ قال له: كيف نسميها؟ فقال: كيف شئت أنت يا سيدي، فسماها خديجة، ولم يكن ذلك الاسم عندنا قط، فتعجب الناس من ذلك.

قلت للشيخ ﷺ: لم سميتموها خديجة؟ فقال ﷺ: كل من فتح الله عليه وتهنأ وأدرك الفتح الكبير فإنه إن أراد أن يتزوج امرأة طلب أن يكون اسمها خديجة، وإن زادت عندي بنت أحب أن يكون اسمها خديجة؛ لأن النبي ﷺ سعد بمولاتنا خديجة، وأدرك معها خيري الدنيا والآخرة.

ثم قال سيدي علي:

ومنها: إنه ﷺ وصف لي زوجتي من رأسها إلى قدمها عضوًا عضوًا، ما ظهر منها وما خفي، وكانت كما وصفها ﷺ لم يزد ولم ينقص، حتى لو كلفت أنا بوصفها ما وصفتها كما وصف ﷺ فلو حضرت والله بين يديه ما زاد فيها معرفة، وكانت [منه][(٢)] على مسيرة أربعة أيام ولم يرها قط.

ومنها: إني كنت رجلاً كثير النوم، فتارة أفيق عند طلوع الفجر فأطأ زوجتي في ذلك الوقت، وتارة يجدني الفجر نائمًا، فلما حضرت بين يديه ﷺ قال للإخوان الحاضرين: إن فلانًا كلما أقدمت عليه عند طلوع الفجر أجده إمّا نائمًا وإمّا أن يطأ زوجته في ذلك الوقت.

فقال له بعض الإخوان الحاضرين: يا سيدي، ما الأفضل هل وطء الزوجة أو النوم في ذلك الوقت؟ فقال ﷺ: وطء الزوجة أفضل من النوم في ذلك الوقت، ولكن وطء

---

(١) في (ب) المتاع.
(٢) الزيادة من (ب).

الزوجة في أوقات الصلاة أن تكون منه ولد، فإنه لا يكون بإذن الله إلا عاقًا لوالديه، فتبت إلى الله من ذلك ولم أعد إلى ذلك ولا إلى النوم في ذلك الوقت منذ سمعت منه ذلك ﷺ.

* **قلت**: وفي قوله: إن الولد الكائن من ذلك الوطء يكون عاقًا كرامة أخرى، فإن سيدي علي بن عبد الله ـ رحمه الله ـ يشكو العقوق من أولاده كثيرًا، ورأينا منهم من يفعل له أفاعيل كبيرة.

ومنها: إني كنت رجلاً كثير الملاعبة لزوجتي، وأنوع لها في الملاعبة أنواعًا، فذكرت بعض ذلك لبعض الأخلاء من الإخوان، فذكر ذلك للشيخ ﷺ كالذي يعيب علي، فضحك الشيخ ﷺ وقال: إنما ذكر لك بعض ما يفعل، وبقي مما يفعل أنه يفعل كيت وكيت، حتى ذكر له كلما كنت أفعل وأنا أسمع، ولا يقدر أحد أن يبوح به لأحد، ولا يطلع عليه أحد إلا الله تعالى.

ثم قال ﷺ: ولكن ذلك هو السنة، وكلما يفعل من ذلك فله به حسنات، فسررت بذلك، والحمد لله رب العالمين.

هذا ما حضرنا وقت التقييد، وكراماته ﷺ لا تحصى، نفعنا الله به وأماتنا على حبه، وحشرنا في حزبه، بجاه سيدنا محمد نبيه وحبيبه ﷺ وعلى آله وصحبه. انتهى.

* **قلت**: وقد استجاب الله دعاءه، فإنه ـ رحمه الله ورضي عنه ـ لما دنت وفاته حدثه قلبه بقرب أجله، فودع أهله بالصباغات، وقال لزوجته: إني أذهب إلى الشيخ ﷺ بفاس لأموت عنده، فقدم على الشيخ ـ نفعنا الله به ـ ومرض، فأمره الشيخ بالوصية والتأهب للقاء الله ﷻ، فامتثل أمر الشيخ ومرضه ﷺ في دراه، وكانت زوجته ومن معها يصنعون له ما يليق بالمريض.

فلما قرب أمره قال الشيخ ﷺ وهو في البيت، وسيدي علي بالصقلابية لمن حضر: إن سيدي عليًا الآن رأى النبي ﷺ وأبا بكر ﷺ فصعدوا للسيد علي يسألونه، فوجدوا لسانه قد سقط فكلموه، ففهم كلامهم وهز رأسه ـ أي: نعم ـ وجعل يفتح فاه كهيئة الضحك، ثم بعد ذلك اتصل تبسمه وفرحه إلى أن خرجت روحه، فسمعت الشيخ ﷺ يقول: لقد رحمه الله ﷻ بمنه وفضله، ولو جلس في الصباغات تسعين عامًا ما أدرك الحالة التي مات عليها.

وكتب إلي الفقيه سيدي [عبد الله بن علي][١] التازي ما عاينه بعض الأصحاب، فعرضته على الشيخ أيضًا، فصدقه ونص ما كتب:

الحمد لله، ذكر بعض كرامات شيخنا وكنزنا وذخرنا، غوث الزمان، وينبوع العرفان، سيدي ومولاي عبد العزيز، نفعنا الله به آمين.

منها: ما ذكر لنا الثقة سيدي عبد الرحمن المخوخي [قال][٢]: إنه كان ذات يوم مع الشيخ ﷺ بإزاء مولاي إدريس، ومع الشيخ ﷺ حينئذ الشيخ العلامة سيدي أحمد بن مبارك.

قال سيدي عبد الرحمن: فبعثني الشيخ لداره بقصد قضاء حاجة، فذهبت مسرعًا نحو الدار، وتركت الشيخ ﷺ بالموضع المذكور، فلما وصلت الدار وجدت رجلاً يطلب الشيخ؛ ليأخذ ثيابه ليغسلها، فبينما نحن ننتظر قدوم الشيخ من مولاي إدريس وإذا به ﷺ خرج من داره وثيابه في يده، فأعطاها للذي يريد غسلها، وحين تركته بمولاي إدريس تركته يمشي بالقباقيب لطين ووحل في الطريق من المطر، ولو كان يمشي بنعله وذهب الذهاب المعتاد لم يمكن أن يسبقني إلى الدار؛ لأني جئتها مسرعًا غاية الإسراع.

ومنها: ما ذكر سيدي عبد الرحمن أيضًا، قال: كانت للشيخ مرآة ينظر بها في الكتب، فتلفت له، فجئته بمرآة أخرى من عند [حبيبه][٣] وصديقه الحاج محمد الكواش، فوجدها [لا تليق][٤]، فقال: انظروا المرآة الأولى، فإنها صافية لعلكم تجدونها.

قال: فأخذنا كتابًا كان يضعها فيه، وفتشناه ورقة ورقة غير ما مرة، فلم نجدها فيه، فتغير الشيخ حينئذ وتنكر وجهه، فقلت له: يا سيدي، ما لك؟ فقال: إني تغيرت على هذه المرآة، ثم رفع الكتاب الذي فتشناه، والمرآة التي ليست بجيدة في أنفه، فسقطت من أنفه، فوضع الكتاب فوجد المرآة التالفة مطروحة فوق ظهره، فقال لولده: مولاي عمر، قل لأمك: الحمد لله، قد رد الله عليّ مرآتي.

---

(١) في (ب) علي بن عبد الله.
(٢) الزيادة من (ب).
(٣) في (ب) صفيه.
(٤) في (ب) لم توافق نظره.

ومنها: قال سيدي عبد الرحمن: كنا نجلس مع الشيخ ﷺ في فصل البرد الشديد، فنشاهد جبينه ﷺ يسيل بالعرق سيلانًا كثيرًا، وقد شاهدنا [انتقال][1] هذه الحالة.

قلت للشيخ ﷺ: ما سبب انتقال هذه الحالة؟ قال ﷺ: [ما سبب][2] أن العرق الذي يسيل مني كان في أول الأمر؟ حيث كانت المشاهدة تحضر وتغيب، فإذا غابت كنت كواحد من الناس، فإذا رجعت أخذتني عن حالة الآدمي، فإذا ذهبت رجعت إلى الحالة الآدمية، فإذا رجعت نقلتني عنها، فكان ذلك يضرني كثيرًا، ولما دامت علي وصارت لا تغيب وأنست الذات بها صارت لا تتأثر بها.

ومنها أيضًا: ما وقع لكاتبه عبد الله بن علي ولأخيه عبد الرحمن المذكور أنهما صعدا يومًا على سطح مدرسة العطارين، قالا: فرأينا على سطوح الدور نسوة مجتمعات ومتفرقات، فجعلنا ننظر إليهن ونتذاكر أمرهن فيما بيننا ونضحك أحيانًا، ثم وثب أحدنا مرة إلى الهواء من [قوة][3] ما غلب علينا من المزاح، فلما قدمنا دار الشيخ ﷺ وجلسنا في الصقلابية المعروفة جعل ﷺ يضحك ضحكًا كثيرًا ويقول: ما أملح الشيخ الذي لا يكاشف، ثم قال: أين كنتما؟ أصدقاني ولا تكذبا عليّ، فذكرنا له الأمر الذي كان، فجعل ﷺ يذكر لنا أمر النسوة ومكانهن في السطوح، كأنه حاضر معنا، وذكر لنا أيضًا الوثبة المتقدمة من غير أن نذكرها له، فذكر لنا ﷺ أنه كان حينئذ جالسًا مع بعض من [قصده][4] للزيارة، فلم يشعروا به حتى تفرقع بالضحك، وذلك حين شاهد تلك الوثبة، فظن من حضر أنه كان يضحك عليه.

ومنها: قال سيدي عبد الرحمن: كانت امرأتي حاملاً، فلما قدمنا على الشيخ ذكرنا له أمر الحمل، فقال بعض من حضر: يضحك على سيدي عبد الرحمن إنما هو بنت، فقال له الشيخ: ادن مني، فقال له في أذنه: والله، إنه لولد ذكر، فكان الأمر كما قال ﷺ.

قال: وجئته مرة أخرى أزوره وتركت الولد مريضًا، فطلبت من الشيخ ﷺ أن يدعو

---

(١) في (ب) انتقاله من.

(٢) الزيادة من (ب).

(٣) في (ب) كثرة.

(٤) في (ب) جاءه.

له بالشفاء، فقال: أمهلني إلى مرة أخرى وأدعو له، قال: فعلمت بذلك أن الولد يموت بالقرب، فكان كذلك.

قال: وقد ذهبت لأزوره مرة أخرى وقد تركت الزوجة حاملاً، فقال لي الشيخ ﷺ وأنا عنده والزوجة بتازة: إنها زادت عندك بنت، فكان الأمر كما قال ﷺ.

ومنها: قال سيدي عبد الرحمن: توجهت للشيخ لأزوره بفاس، ومعي ثلاثون أوقية للشيخ، فلما دنوت من المدينة أخذت [منها][1] أوقية.

قال: فلما أعطيت الدراهم للشيخ قال لي: أنت لا تترك عمايلك، قم اشتر لي موزونة تمرًا وثلاثة موزونات جبنًا مكان الأوقية التي أخذت، فقلت له: يا سيدي، إنك تخلصت بالكياسة والعقل.

ومنها: قال سيدي عبد الرحمن: قصدت الشيخ للزيارة، فلما جلست بين يديه قال لي: أيّ شيء كنت تفعل ليلة الأحد؟ فقلت: وأيّ شيء يا سيدي؟ فقال: حيث كنت تجامع أهلك وقد أجلست ولدك على الوسادة، حيث أبى النوم، وحيث كان القنديل على الصندوق، أوَ مَا علمت أني حاضر معك؟.

وبالجملة: فكرامات الشيخ ﷺ لا تعد ولا تحصى. انتهى ما كتبه.

* **قلت**: وقد ظهر من ذلك الوقت إلى وقتنا هذا ما لا يحصى من كرامات الشيخ ﷺ وكانت كتابة هؤلاء إلى أواخر عام ثمانية وعشرين وعرضت ما كتبوه على الشيخ يوم عاشوراء عاشر المحرم، فاتح سنة تسع وعشرين.

وكتب لي الفقيه الثقة الأرضى سيدي العربي الزيادي، وغالب ما كتبه حضرته ورأيته بعيني، وما لم أحضره سألت عنه الشيخ ﷺ فصدقه، ونص ما كتب:

ومما وقع لي مع [سيدنا الإمام و][2] شيخنا الهمام، غوث الأنام سيدي ومولاي عبد العزيز، نفعني الله به: إني كنت أشتري الكتب لبعض كتّاب المخزن فاشتريت كتبًا عديدة

---

(١) الزيادة من (ب).

(٢) الزيادة من (ب).

وصرفتها له وصرف لي [الدراهم][١] قبل أن تبلغه، فلما بلغته أرعد وأبرق عليها لكونها لم تعجبه، ثم ردها عليّ وأمرني أن أردها على أربابها، وإلا فنعمل لنفسنا ما نحب، فهالني ذلك الأمر [وأهمني][٢] وأحزنني وأكربني وخفت من ذلك الكاتب لسطوته، فذهبت إلى الشيخ ﷺ وذكرت له المسألة وقلت له: إن أصحاب الكتب أبوا أن يردوها وبقيت متحيرًا خائفًا، وليس عندي ما يوفي الثمن الذي صرفه الكاتب، وللكاتب سطوة على أهلي، إلى غير ذلك من الأمور المعضلة في تلك الساعة، فقال لي الشيخ ﷺ: يا ولدي، لا تخش من شيء إن شاء الله، فإنه سيكون فرج ومخرج عن قريب إن شاء الله، فلم نلبث إلا قليلاً حتى فرج الله بموت الكاتب قتله السلطان ـ نصره الله ـ وكان الفرج كما قال الشيخ ﷺ.

ومن ذلك: إنه وقع هرج عظيم في بلادنا تامسنا، وكان قاضيها مؤاخيًا لي في الله ﷻ، فخفت عليه فجئت للشيخ ﷺ ليدعو له بخير، فقال: أمّا السيد الطاهر فلا تخف عليه مكروهًا، وأمّا الكاتب فلا أضمنه، ولم أسأله عن الكاتب، وكان مؤاخيًا لي وللقاضي المذكور، وهو صاحب الكتب السابقة، فكان الأمر كما قال الشيخ ﷺ فإن القاضي لم ينله مكروه، وقتل الكاتب.

ومن ذلك أيضًا: إنه لما بلغنا موت الكاتب، ولم يعلم بذلك إلا القليل من الناس ذهبت لدار الشيخ ﷺ فنقرت الباب فخرج، ولم نعلمه بموت الكاتب، فقال ﷺ: مات ذلك الكاتب؟ فقلت: نعم سيدي، فقال: هو ما قلت لك أولاً، ثم قال: وهل عندك شيء من كتبه؟ فقلت: نعم سيدي، فقال لي: الله يخرج الأمور على خير وعافية، فخفت من كلامه هذا، ودخلني منه رعب شديد، فأكببت على يده وقبلتها وقلت: يا سيدي، إني خفت من جانب ذلك الكاتب، وأعانني من حضر من أصحاب الشيخ، فطلبوا لي من الشيخ الدعاء بخير، فقال لي ولهم حين رغبوا: لابدّ لك من الكلفة، ولكنها سالمة إن شاء الله، فبقيت متشوقًا لذلك الأمر، ثم وقع الطلب والبحث والتفتيش على جميع من بينه وبين ذلك الكاتب خلطة، ونزل بمن قبضوه أنواع من المحن من ضرب الرقاب، ونهب الأموال، وهتك الحريم، فهالني الأمر وزدت خوفًا على خوفي، فأذهب إلى الشيخ ﷺ

(١) في (ب) الثمن.
(٢) في (ب) أهانني.

فيقول: الموت لا والمحنة تنالك، فلم يزل على ذلك حتى جاء من يذهب بي إلى مكناسة، فجئت به إلى الشيخ وأظهر له ﷺ الفرح والسرور، ودعا له بخير وأوصاه عليّ كثيرًا، فقال الرجل: على الرأس والعين يا سيدي، وقال لي الشيخ: إنك ترجع سالمًا، وبعث بسلامه مع ذلك الرجل إلى متولي البحث عن المنتسبين للكاتب المذكور، فذهبت لمكناسة وأعطيتهم الكتب التي للكاتب، فأخذوها وودعوني، فرجعت إلى فاس، والحمد لله.

ثم بقي هناك بعض من يزين وجهه مع الظلمة، فجعل يدل ذلك المتولي عليّ ويقول: بقيت عنده أموال لفلان في أكاذيب يفتريها، فلم أبق في فاس إلا جمعة، وإذا بالرجل قد رجع وأظهر لي محبة وصداقة، وقال: إن محبكم قاضي «تامسنا» كتب إلى المتولي المذكور بعد علمه بفصل القضية على خير أن وجه لي فلانًا يلقاني بمدينة سلا، فإن أردت أن تذهب فعلى خاطرك، وإن أردت أن تقعد فعلى خاطرك، ثم جئت به للشيخ ﷺ فجعل يذكر عنده مثل هذا الكلام والشيخ ﷺ ساكت عنه، ثم قال لي: يا فلان، الرأي الذي أشير به عليك أن تذهب مع صاحبك هذا الرجل، ولابد أن نذهب معك بنحو الثلاثين أوقية؛ لتعطيها للمتولي المذكور.

فقال الرجل المذكور: وأنا يا سيدي هذا هو الذي يظهر لي، والسيد العربي أخبر، فقلت: يا سيدي، إن كان إنما يريد أن يذهب بي لأجل أخي السيد الطاهر القاضي، فما وجه ذهابي معه ولابد؟ وما وجه ذهابي بنحو الثلاثين أوقية؟ فقال لي ﷺ: اسمع ما أقول، فإني لا أقول إلّا الجد.

ولم أشعر بالبلاء الذي في قلب الرجل، وأن كلامه معي إنما كان حيلة وخديعة، فلما لم أفهم وتماديت على الغفلة صرح لي الشيخ ﷺ والرجل يسمعه، ولكن جلا ذلك بالضحك، ثم قال لي الشيخ ﷺ لما أردنا القيام من عنده: لا تخف من الموت، والحبس تحبس، فذهبت مع الرجل لمكناسة، ولم أذهب بالثلاثين أوقية التي أمرني الشيخ بها، فلما بلغنا مكناسة أعرض عني ذلك المتولي وأمر بحبسي في داره، ومنعني من الخروج حتى يشاور السلطان ـ نصره الله ـ عليّ، وقد شاور على أناس قبلي، فقتلهم وكانوا من أهل بلادنا، فدخلني من الخوف ما الله يعلمه وقلت: ما بقي إلا القتل، فذهب ذلك المتولي يشاور، فصادف ببركة الشيخ ﷺ كسوة سيدي أبي العباس السبتي، قدم بها بعض إخوان

الكاتب المذكور، فسمح له السلطان ولكل من انتسب إلى الكاتب، فجاءني الفرج ببركة الشيخ ﷺ غير أنهم قبضوني في السُّخرة، وكانت السُّخرة ثلاثين أوقية، فوقفت على [عين](١) كلام الشيخ ﷺ حيث قال: اذهب معك بنحو الثلاثين أوقية، فما زلت أقوم وأطيح حتى يسرها الله عليّ بمنه وكرمه وفضله، وأطلق الله سراحي، وذهبت المحن والحمد لله، وكل ذلك ببركة الشيخ ﷺ.

ومن ذلك أيضًا: إني ذهبت بعد صلاة المغرب لداره ﷺ وجلست ببابها ساعة طويلة، ولم ندق الباب، فنزل ﷺ من الصقلابية، فسمعت حسه في درج السلم، فناداني: يا فلان، فقلت: نعم سيدي، فقال لي ﷺ: ألم تزل بالباب منذ ساعة؟ فقلت: نعم سيدي، والظلام نازل، ولم أدق الباب، ولم أخبر أحدًا أني بالباب حتى ناداني، ثم خرج وقبلت يده السعيدة.

ومن ذلك أيضًا: إني بت ذات ليلة بغير بيتي بالمدرسة، فذهبت إليه ﷺ غدوة، فخرج إليّ وقال: أين بت البارحة ولم لم تبت في بيتك؟ فقلت: يا سيدي، بل بت في بيتي، وأردت أن أروغ، فقال: ألم تبت في موضع كذا وكذا؟ فقلت: لا يا سيدي، فقال لي ﷺ: إن لم تصدقني أخبرتك بكل ما فعلت البارحة في ذلك الموضع، فخفت من الفضيحة وقبلت يده الكريمة وقلت: صدقت يا سيدي.

ومن ذلك أيضًا: إني كنت ذات يوم بالمدرسة وأنا أتجادل مع رجل جاهل [بقدر](٢) الشيخ ﷺ في شأن الشيخ ﷺ ونفعنا الله به، فلما ذهبت إليه بعد ذلك قال: من الرجل الذي كنت تتكلم معه البارحة؟ وأي شيء قلت؟ وأي شيء قال؟ فسكت، ثم أتى ﷺ بالقصة على وجهها، وكراماته ﷺ لا تعد ولا تحصى. انتهى ما كتبه.

*** قلت:**

ومن كرامات الشيخ ﷺ: إني كنت أتكلم معه ذات يوم في شأن رجل، فقلت: يا سيدي، إنه يحبكم كثيرًا، فقال ﷺ: إنه ما يحبني، وإن شئت أن تجربه فأظهر له في كلامك أنك رجعت عن محبتي واسمع ما يقول لك، فجاءني الرجل فقلت له: يا فلان، إنه بدا لي

(١) الزيادة من (ب).
(٢) في (ب): بحق.

أمر آخر، وجعلت أشير إلى ما يقتضي الرجوع، فبادر الرجل فقال: قد قلت لك هذا، وأظهر باطنه الخبيث، فعند ذلك قلت له: إنما أردت اختبارك، فظهر لنا ما أنت عليه، فندم غاية الندم، ثم أعلمت الشيخ ﷺ بذلك، فقال لي ﷺ: ألم أقل لك ذلك؟.

ومنها: إني كنت جالسًا معه ﷺ بالصقلابية، فبينما نحن نتحدث في شيء من الأمور وإذا بالسيدة زوجته قامت تبكي، وجعلت تدور في الدار، وقد احترق كبدها مما سمعت؛ وذلك أنه جاءها الخبر بموت أخيها وكان غائبًا، فقال لها ﷺ بعدما أشرف عليها: إنه لم يمت، وكذب من أخبركم بموته، وأقسم على ذلك، فوالله ما رجعت عن حالها لقوة ما نزل بها، ثم جاء الخبر بعد ذلك كما قال الشيخ ﷺ وأخوها الآن في قيد الحياة.

ومنها: إنه ﷺ كان صاعدًا نحو العرصة، فلقيه رجل كان له قريب غائب بالمحلة مع مولاي عبد [الملك](١) ابن السلطان ـ نصره الله ـ فرأى الشيخ ﷺ جالسًا مع بعض من ينتسب للصلاح وهو ليس من أهله، فقام ذلك الرجل للشيخ ﷺ وقال: يا سيدي عبد العزيز، أعطني خبر أخي الغائب ـ يعني: في المحلة ـ مع مولاي عبد المالك، هل حي أو ميت؟ فإن سيدي فلانًا [يعني: المنتسب السابق، أعطاني خبره وأنه حي](٢)، فتعامى عنه الشيخ، فأبى الرجل إلا أن يخبره، فقال الشيخ: فأمّا إذا أبيتم فخذ الخبر الصحيح، الله يرحم الحاج عبد الكريم السبكي، وهو الغريب الغائب، يخبرك بخبره من صلى عليه يوم مات، قتله ابن السلطان، ثم بعد ذلك جاء الخبر كما قال الشيخ ﷺ.

ومنها: إنه كان للشيخ ﷺ خادم يخدم في العرصة مشاهرة، ويعطيه أجرته كل شهر، وكان مستترًا من ظلم [المخزن](٣)، وكان له أخ يبحث عنه ويعرضه للنوائب، فكلمه الشيخ ﷺ أن يتركه فأبى، ثم بلغ به الحال حتى ذهب إلى [القائد](٤) وقال: إن أخي عند مولاي عبد العزيز، وإنه منعني منه، فأرسل القائد صاحبه، فبينما أنا جالس معه ﷺ في العرصة إذ أقبل الحرسي المرسل فقال للشيخ: قم للقائد، فقال له الشيخ: أنا؟ فقال الحرسي: نعم، فقال الشيخ ﷺ: سمعًا وطاعة، إنما أنا مسكين ورعية، فقال لي: قم، فذهبنا

---

(١) في (ب): المالك.
(٢) في (ب): قال لي: إنه حي.
(٣) في (ب): الحاكم.
(٤) في (ب): الباشا.

متوجهين نحو القائد، ثم ندم الحرسي وقال: يا سيدي، الحاجة إنما هي لأخ هذا الشاكي، فمكنا منه وارجع، فقال: وهل منعتكم منه؟ فأخذوه وانطلقوا به، فما بقي أخوه إلا نحوًا من شهر وسافر إلى الآخرة، ورجع بعد ذلك أخوه إلى العرصة ولم يبق له مشوش.

ومنها: إن بني «يرتاسن»(١) القبيلة المعروفة لما وقع بينهم وبين السلطان ما وقع، وظفر بمن ظفر منهم، أراد بعض الكتّاب من أهل تازة أن تنقل نارهم إلى أهل تازة، فزوّر كتابًا على أهلها ذكر فيه أنهم بعثوا إلى بني «يرتاسن» وقالوا لهم: إنّا معكم يد واحدة، وذهب بها إلى السلطان ـ نصره الله ـ وقرأها عليه، فغضب ـ نصره الله ـ وأراد أن يبعث لهم من ينتقم منهم، ثم بدا له ـ نصره الله ـ فحبسه، وسمع بذلك أهل «تازة» فمر منهم من مرَّ على الشيخ ﷺ وشاوره في الهرب والجلاء عن بلادهم؛ لأنهم خافوا من [السلطان](٢)، فقال ﷺ لهم: إن كنتم تفعلون ما أقول لكم فأنا أقول، فقالوا: قل يا سيدي ما جئنا إلا لنهتدي بنصيحتك، فقال: ليكن هذا وجهكم إلى السلطان ـ نصره الله ـ واسبقوا عند الوزير، ففعلوا ما أمرهم به وذهب بهم الوزير إلى السلطان وأثنى عليهم خيرًا وبرأهم مما رماهم به ذلك [الوزير] الكاتب، فما زاد ـ نصره الله ـ على أن أمر بذبحه، وكان ذلك عاقبة أمره.

وكذا وقع لرجل آخر كان من جانب المخزن الفاسيين الذين قتل منهم نيف وعشرون في شوال سنة ثلاثين ومائة وألف، فكان من قدر الله أن جاء هذا الرجل حين سمع بالبحث والتفتيش عليهم قبل القبض على القائد، فشاور الشيخ في الهروب، فقال [الشيخ]: لا تفعل، واذهب إلى القائد بنفسك، وقل له: ها أنا ذا، فافعل بي ما شئت، فأنا عند الأمر والطاعة، فذهب وفعل ما قال له الشيخ ﷺ فقال له القائد: إن كنت كما تقول فاذهب إلى ناحية «فجيج»(٣) وكن مع تلك الرماة الذين بتلك الناحية، فجاء إلى الشيخ وذكر له ما أمره به القائد، فقال له الشيخ: العزم العزم، بادر بالخروج إلى الناحية المذكورة، فبعدما خرج بأيام قليلة قُبض القائد وأصحابه، فمات منهم العدد السابق، ونجّى الله ذلك الرجل السابق ببركة الشيخ ﷺ.

---

(١) هكذا في الأصول.

(٢) في (ب): السبيل.

(٣) هي فجيج المغربية، وهي مركز «زناتة» من بني «مرين».

وهذا دأبه ﷺ في هذا الباب، فإني ما رأيت أحدًا شاوره في الهروب من المخزن إلا أمره بالذهاب إليه، ولا تكون عاقبته إلّا خيرًا، ولو ذكرت الحكايات الواقعة له في هذا المعنى لطال الكلام.

ومنها: إن بعض الحكام عزله السلطان، وجعله في زوايا الإهمال، فأرسل إلى الشيخ ﷺ يطلب منه أن يرجع إلى الولاية، فوعده ﷺ بها، فلم يذهب الليل والنهار حتى ولّاه السلطان ورجع إلى حالته الأولى، فأرسل إليه الشيخ يرغبه في بعض حملة كتاب الله ﷻ لكي يسمح لهم في بعض المغارم فأبى وامتنع، فلقي أخو ذلك الحاكم الشيخ ﷺ فوعده بأن يتولى مرتبة أخيه، فكان الأمر كذلك، فإنه لم يبق بعد امتناعه من قبول رغبة الشيخ ﷺ إلا مدة قليلة، ثم سافر إلى الآخرة، ووُلّي أخوه مرتبته، وقضى حاجة الشيخ ﷺ في أولئك المرغوب فيهم.

ومنها: إني أول ما عرفته كانت تحتي ابنة الشيخ الفقيه العالم العلامة سيدي محمد بن عمر السجلماسي، نزيل زاوية مولاي إدريس الأكبر، وإمامها وخطيبها، وقد عرفت مكانته ـ رحمه الله ـ فكنت أحب البنت حبًّا شديدًا؛ لكمال عقلها، وحسن عشرتها، ولين جانبها في مواردها ومصادرها، ولما علم ﷺ مكانتها في قلبي، وأني لا أحب أحدًا حبها جعل يسألني في بعض الأحيان ويقول: هل تحبني مثلها أو هي أكثر؟ فأصدقه وأقول: هي أكثر، وكنت معذورًا لجهلي بمكانة الشيخ وإمامته في ذلك الوقت، فكان يتأثر بذلك، وحُقّ له رضا الله عنه، فإن المريد لا يجيء منه شيء حتى لا يكون في قلبه غير الشيخ والله والرسول، فكان يسايرني في هذا الباب، ويريد أن ينقلني عن تلك الحالة، فلما أبيت وسبق من قدر الله ما سبق دخلت عليه ذات يوم ﷺ وذلك صبيحة ليلة سبع وعشرين من رمضان عام خمسة وعشرين ومائة وألف، فما زلنا نتكلم حتى قال: إن مخالطة الأولياء بمنزلة أكل السموم.

وقد كان سيدي فلان لما عرفه مريده لم يترك له امرأة ولا ولدًا حتى أفرده به، ولم أفهم الإشارة حتى نزل بالمرأة ما نزل، وكان بقرب ذلك الكلام، فبقيت في مرضها إلى أن توفيت ـ رحمها الله ـ وكان ﷺ يحبها محبة شديدة، فهنيئًا لها، وما زال يؤانسها في مرضها، ويبعث لها بالأدوية والأشربة وكل ما يحبه المريض، ويعدها بالشفاء، ويعني به شفاء الآخرة كما أخبرنا بذلك، ولما توفيت بقي قلبي متعلقًا بولد تركته لي، فجعلت إذا نظرت إليه اشتغل به قلبي، فبقي مدة قليلة بعد أمه ثم قبضه الله ﷻ.

ثم إني تزوجت من الفقيه المذكور بنتًا أخرى، فلما بنيت بها وجدتها، والله فوق ما نظن في الحسن والجمال، والعقل والكمال، واستولت على قلبي، فلم تبق إلا مدة قليلة حتى قبضها الله ﷻ.

ثم منّ الله عليّ بمحبة الشيخ ﷺ المحبة التي لا محبة فوقها؛ وذلك أني كنت جالسًا معه ﷺ في الدار وهو يتكلم على محبة الله، وكيف تكون، وأوردت عليه أسئلة كثيرة وأجابني عنها، وقد قيدت ذلك، وستراه ـ إن شاء الله ـ في أثناء الكتاب، ثم ضحك ﷺ وقال: كيف نصنع معك ولم تزل تحب المرأتين في الدنيا حتى نقلهما الله ﷻ إلى رحمته وأنزلهما مع سائر الأرواح في البرزخ، ثم لم تزل مقيمًا على محبتهما المحبة الكاملة، فإلى أيّ موضع ينقلهما الله ﷻ من البرزخ، ويجعلهما فيه حتى تغيبا عن قلبك؟ فغسل كلامه هذا، والله محبتهما من قلبي، وخلصت المحبة كلها للشيخ ﷺ ولقد تزوجت بنتًا ثالثة من بنات الفقيه المذكور ـ رحمه الله ـ ولم يتعلق بها قلبي، فهي والحمد لله على السلامة والعافية.

ومنها: إن السيدة زوجته وقع لها حمل، فقالت له: يا سيدي عبد العزيز، ما لي حاجة بهذا الحمل، وأولادي والحمد لله عندي، وأنا ذات مشقة وقيام على [الدار](١) ولا عندي [أَمَة](٢) تقوم عليّ إذا تمادى بي هذا الحمل، فإن كانت الولاية التي يشار بها إليك حقًّا فالله يسقط عني هذا الحمل، فلا حاجة لي فيه، وكان الشيخ ﷺ يوصيها إذا نامت وغطت رأسها ألّا [تعري](٣) وجهها [في وسط الليل](٤) خيفة أن ترى ما لا تطيق، فاتفق أن كشفت ذات يوم وجهها في وسط الليل فرأت مع الشيخ ﷺ ثلاثة رجال من أهل الغيب، فدخلها خوف عظيم أوجب لها إسقاط الحمل من بطنها.

ومنها وقد شاهد ذلك أهل الدار وبعض من قصد الشيخ للزيارة: وذلك أنه ﷺ كانت تحصل له غيبة خفيفة عن [جسمه](٥) حتى أن الجالس معه يراه بمنزلة من خرجت روحه، ولا تبقى في ذاته ﷺ حركة نفس، ولا غيرها [إلّا] في شفتيه وما يقرب منهما من

---

(١) في (ب): البيت.

(٢) في (ب): جارية.

(٣) في (ب): تكشف.

(٤) الزيادة من (ب).

(٥) في (ب): حسه.

العروق، فوقع له ذلك ذات يوم، فدخل من دخل عليه للبيت فوجد النور يسطع على هيئة البرق، إلا أنه أبطأ وأصفى، فخرج فأعلم من حضر، فدخلوا فعاينوا ذلك، فلما كان الغد لقيت الشيخ ﷺ وخرجت معه إلى العرصة، فاسترجع وقال: لقد ظهر عليّ بالأمس أمر ما كانت عادته إلّا الستر، فقلت: يا سيدي، لقد سمعت بهذا وما علمت سر الحكاية، فقال ﷺ: هو نوره ﷺ، وذكر ما كان، نفعنا الله به.

ومنها: إنه كان لي بعض الأصحاب من [جملة] حملة القرآن العزيز، وهو من [الحبانية][1] القبيلة المشهورة، ولما وقع للقبيلة المذكورة من العسف والظلم ما وقع سنة سبع وعشرين أرسلت للذي كان عليهم في شأن ذلك الصاحب، فحرره من جميع المطالب، ثم عُزل بعد ولايته عليهم نحوًا من عامين، وتولاهم من كنت أجزم أنه لا يخالف ما أقول له، فأرسلت إليه في شأن الصاحب فلم يقض شيئًا، فأردت أن أرسل لقائده فقال لي الشيخ ﷺ: لو أراد الله تحريره لأجابك الوالي عليهم، ولقضى مرادك، فتعاميت وجعلت أرسل لمن يغلب في ذلك الوالي، ومن بلغه كتابي منهم يفرح به، ويصرح بقضاء الحاجة، ثم يمنع الله منها، فلا أحصي كم سعيت ولا قضى الله منها شيئًا، فعرفت صدق كشف الشيخ ﷺ.

ومنها: إني كنت ذات يوم معه في العَرصة، ومعه شريف من أولاد [الشيخ][2] عبد السلام بن مشيش ـ نفعنا الله به ـ فقال له ذلك الشريف: يا سيدي، إن رجلاً من أهل الجبل المجاور للشيخ عبد السلام [دعاه][3] الشرفاء للسلطان وقالوا له: إنه تزوج الشريفات وهو من العوام والسلطان ـ نصره الله ـ يكره ذلك كثيرًا، فلما سمعه أمر له، فأتى به وحبسه وأوعده بالقتل، فقال الشيخ ﷺ: أمَا يتقي الله؟! كيف يتزوج بنات مولاي عبد السلام وهو ملموز [بتجر طانيت][4]، فقال الشريف: يا سيدي، من أين لك بهذا وما عرفت الرجل ولا رأيته ولا اجتمعت به قط، ولا أظنك سمعت به قبل هذا، وهذا الأمر الذي لُمز به لا يعرفه إلا النادر من قبيلته؟! فتعجب من كشف الشيخ، وقبَّل يده الكريمة.

---

(١) في (ب): الحيانية.
(٢) في (ب): مولاي.
(٣) في (ب): طلبه.
(٤) لعله إشارة إلى عشقه لجنيّة، أو امرأة يُطلق عليها هذا اللقب، كناية عن لمزه وولعه الشديد بها.

ومنها: ما رأيته بخط يده الكريمة، رأيته في كنّاش الحاج عبد القادر التازي، وكان الشيخ ﷺ في صغره [يخدم](١) عنده [صنعة] [الشاشية](٢) بعدما كان يخدمها عند رجل آخر قبله اسمه محمد بن عمر الدلائي، فسافر محمد المذكور بقصد الحج، وبقي الشيخ يخدم عند الحاج عبد القادر السابق، قال لي الحاج عبد القادر: فأخذ ذات يوم سيدي عبد العزيز الكنّاش وكتب فيه: الحمد لله وحده، توفي سيدي محمد بن عمر اليوم، وانقلب إلى رحمة الله. قاله وكتبه في شهر ذي القعدة عام ثمانية عشر ومائة وألف عبد العزيز بن مسعود الدباغ، لطف الله به آمين.

قال الحاج عبد القادر: فصحت به وقلت [له]: أيّ شيء تكتب؟ قال: وكنت شاهدت له كرامات قبل ذلك، قال: فأخذ القلم وخطط عليّ ما كتب وقال: ما كتبت شيئًا.

قال: فلما قدم الحجاج أخبروا بموت محمد بن عمر المذكور في الشهر الذي ذكر الشيخ ﷺ فقلت للشيخ ﷺ: كيف وقع لكم هذا والفتح إنما كان عام خمسة وعشرين؟ فقال ﷺ: منذ لبست الأمانة التي أوصى لي بها سيدي العربي الفشتالي حصل لي فتح ولكنه ضيق، فإذا توجهت إلى شيء لا أحجب عنه ولكني لا أرى غيره.

* **قلت**: وصدق ﷺ فإن الناس الذين كانوا يخالطونه في العشرة الثانية حدثوا عنه بكشوفات وكرامات.

فمنها: إنه [لما] كان عند محمد بن عمر المتقدم [يخدم الشاشية](٣) قرب صبيحة يوم من الطنجير الذي كانوا [يصنعون](٤) فيه، فصاح به القيم على الطنجير، فغضب الشيخ ﷺ وقال: والله لا يحمى لكم هذا الطنجير ولو أوقدتم عليه ما أوقدتم، فجعلوا يوقدون عليه من الصبح إلى العصر، وأفنوا عليه حطبًا كثيرًا، والماء بارد، وكان محمد بن عمر غائبًا عن موضع [الخدمة](٥)، فلما جاء وأعلموه بالحكاية قال: يا سيدي عبد العزيز، أردت أن تخليني وأنا أحبك، وأفعل معك الخير، ولا ضرر على هذا الذي صاح بك، وإنما الضرر عليّ، وأنا

(١) في (ب): يشتغل.
(٢) في (ب): الطربوش.
(٣) في (ب): يشتغل الطربوش.
(٤) في (ب): يصبغون.
(٥) في (ب): الشغل.

لا ذنب لي، فلم يزل يستلطف بالشيخ ﷺ ويستعطفه، قال الشيخ ﷺ: فاستحييت منه لكثرة خيره، فإنه كان يعطيني الأجرة سواء [خدمت](١) أم لا، ويقول: إنما [أشدك عندي](٢) للبركة ولا عليّ في خدمتك.

قال: فأخذت الحطب وجعلته تحت الطنجير وقلت لهم: إنكم لا تحسنون إيقاد النار، وها الطنجير أخذ في الحماية، فمسوا الماء فوجدوه حاميًا فتعجبوا. سمعت هذه الحكاية والكرامة من جماعة كثيرين، وسمعتها من الشيخ أيضًا.

ومن كراماته ﷺ: إني أسأله عن أقوال العلماء في المسألة، فيعرفها ويعرف المسألة التي فيها خلاف، والتي فيها وفاق، ويعرف أقوال علماء الظاهر وعلماء الباطن في كل مسألة مسألة، [وانجر الكلام بنا إلى](٣) نحو الست سنين، ويعرف الحوادث الكائنة في الأعصار السالفة.

ولقد كنت ذات يوم معه في سوق الخميس فسألته عن سبب الرعد والبرق والصواعق، فذكر في ذلك كلامًا نفيسًا ما يتكلم به إلا مثله، وانجر الكلام بنا إلى أن ذكرت له النار التي ظهرت بـ«قريظة» في جمادى الآخرة سنة أربع وخمسين وستمائة، وقد ذكرها القرطبي في «التذكرة»، والحافظ ابن حجر في كتاب «الفتن»، وأبو شامة والنووي، وشرحوا أمرها، فأردت أن أذكر كلامهم، فجعل ﷺ يذكر حكايتها، وكيف كانت حتى ذكر ما ذكره العلماء ﷺ وزاد فذكر سبب خروجها، ومن هو صاحب تلك النار التي يعذب بها في الآخرة في أسرار أخر لا تذكر، فقضيت منه العجب.

واعلم أن كراماته ﷺ لا تعد ولا تحصى، ولو تتبعت ما أعلم منها وما يعلمه الأصحاب ـ وقرهم الله ـ ما وسعها إلا مجلد كبير، فلنقتصر على هذا القدر، فإن فيه كفاية.

ولنختم هذا الفصل بكرامة عظيمة كما افتتحناه بكرامة عظيمة: وذلك أني لما عرفته ﷺ في أول الأمر، ورأيت سعة عرفانه، وفيضان إيمانه، جعلت أختبره فأسأله عن الحديث الصحيح من الباطل، وكان عندي تأليف الحافظ جلال الدين السيوطي ـ رحمه الله تعالى ـ

(١) في (ب): اشتغلت.
(٢) في (ب): أنت معي.
(٣) في (ب): أخبرته في هذا.

«الدرر المنتثرة في الأحاديث المشتهرة» وهو تأليف عجيب رتب فيه الأحاديث المشهورة بين الناس على الحروف، ويسم كل حديث بسمته فيقول في الصحيح: صحيح، وفي المكذوب: مكذوب، ولا ينبغي للطالب أن يخلو منه، فإنه كتاب نفيس، فسألت شيخنا ﷺ عن حديث: «أُمِرْتُ أَنْ أَحْكُمَ بِالظَّوَاهِرِ وَاللهُ يَتَوَلَّى السَّرَائِرَ»[(١)].

فقال ﷺ: ما قاله النبي ﷺ وكذا قال الحافظ السيوطي.

ـ وعن حديث: «كُنْتُ كَنْزًا لَا أُعْرَفُ ..»[(٢)].

---

(١) أخرجه الشافعي في «مسنده» (٨).

(٢) فائدة: إن الذات الأقدس منطوٍ فيه نفائس جواهر الأسماء الذاتية التي هي عين ذاته الأقدس، وكونه مطلسمًا؛ أي: لا يطَّلع عليه أحدٌ إلا هو تعالى، فإن من عادة الكنوز أن يوضع عليها أسماء روحانيين تُسمَّى بالطلسم، حتى لا يطَّلع عليها أحدٌ، ولا يظهر منها شيءٌ، إلا لمن كانت هي له، والطلسم هو طل اسم، قال الشيخ: هو مقلوب مسلط، ففي الكلام استعارة، حيث شبَّه ذاته الأقدس المنطوية على أسمائه الذاتية التي يرغب في تحصيل شيء منها كل أحدٍ، ولا يمكنه ذلك لغيبه بالكنز المطوي على النفائس التي يرغب في تحصيل شيء منها كل أحدٍ، ولا يمكنه ذلك لوضع الطلسم؛ أي: الحروف المهمات عليه المانعة من الاطِّلاع عليه، فقوله: «فبي» من حيث حساب الجُمَّل اثنان وتسعون، وعدد حساب محمد ﷺ كذلك، فالمعنى من باب الإشارة فبمحمد ﷺ «عرفوني» أو المراد: فبظهوري عرفوني، وهو ﷺ أول مظهر.

وأورد بعضهم أن الخفاء من الأمور النسبية لابد فيه من مخفِّي، ومخفَي عليه، لا يجوز أن يكون المخفي عليه هو الله تعالى؛ لأنه تعالى ظاهر بنفسه لنفسه عالم بذاته أزلاً وأبدًا، ولا يجوز أن يكون هو الخلق؛ لأنهم لم يكونوا موجودين في الأزل حتى يكون الحق مخفيًّا عليهم، وفي الحديث: «كان الله ولم يكن معه شيء». والجواب: بأن للأشياء وجودين وجودًا علميًا، ووجودًا خارجيًا، فالوجود العلمي: الأعيان الثابتة وهي أزلية قديمة، والوجود الخارجي: محدث، فخفاء الحق تعالى بالنسبة إلى الأعيان الثابتة في الأزل فلما أراد الله تعالى أن تعرفه الأعيان الثابتة أخرجها من الوجود العلمي إلى الوجود الخارجي لتعرف الله تعالى، يقتضي أن تعتبر الأعيان الثابتة مع الهوية الأحدية، وأن تساوقها، وليس كذلك بل الجواب الصحيح أن يقال: إن الخفاء كناية عن عدم عالم به سواه، فكأنه قال ﷺ: كنت كنزًا غير معلوم لأحدٍ سواي على أن الأمور الذوقية، والأسرار الإلهية لا يلتفت فيها إلى مثل هذا الإيهام. وانظر: شرح الصلاة الأكبرية للقادري (ص١١٥) بتحقيقنا.

وقال الشيخ الكتاني: وقد كان سبحانه قبل أن يخلق هذا العالم في خفاء كنزيته وغيب هويته وبطونه الذاتي غير متعرف بقيد من القيود إلى من يحصل أو يأتي، فاقتضت حكمته الباهرة ومشيئته القاهرة أن يعرف المعرفة اللائقة بذاته، وأن يظهر أثر أسمائه وصفاته كما ورد في الحديث القدسي، قال في «الفتوحات»: الصحيح كشفًا الغير الثابت نقلاً عن رسول الله ﷺ عن ربه ﷻ أنه قال ما هذا

فقال ﷺ: لم يقله النبي ﷺ[1]، وكذا قال الحافظ السيوطي: إنه لا أصل له.

ـ وعن حديث: «**أول مَا خَلَقَ اللهُ العَقْلَ ...**»[2].

فقال ﷺ: لم يقله النبي ﷺ وكذا قال أحمد بن حنبل، وأورده ابن الجوزي في «الموضوعات»، وصرح ابن تيمية بأنه كذب، وقال الزركشي: إنه موضوع بالاتفاق، وكذا أورده الحافظ السيوطي في «اللآلئ المصنوعة في الأحاديث الموضوعة» وإن كان في «الدرر المنتثرة» ذكر له شاهدًا صالحًا.

❊ **قلت**: وذلك الشاهد من مراسيل الحسن البصري، وقال ابن حجر في الشرح: إنه لا يحتج بمراسيل الحسن.

=

معناه «كنت كنزًا مخفيًا لم أعرف فأحببت أن أعرف فخلقت الخلق وتعرفت إليهم فعرفون»، انتهى. وذكر الشيخ في كتاب «الحجب المعنوية» أن الذات الهوية له بلفظ ورد في الكتب الإلهية قال الله تعالى: «كنت كنزًا مخفيًا لا أعرف فأحببت أن أعرف فخلقت خلقًا فتحببت إليهم بالنعم حتى عرفوني». وفي كتاب «عقلة المستوفز» أن بعض الأنبياء ـ عليهم الصلاة والسلام ـ قال: يا رب لم خلقت الخلق؟ فقال له ﷻ: «كنت كنزًا مخفيًا لم أعرف، فأحببت أن أعرف، فخلقت الخلق وتعرفت إليهم فعرفوني».

وذكره سيدي علي وفا في كتاب «مفاتيح الخزائن العلية» وابن غانم المقدسي في كتابه «حل الرموز» وجماعة بلفظ «كنت كنزًا لا أعرف فأحببت أن أعرف فخلقت وتعرفت إليهم فبي عرفوني» وذكره أبو زيد الفاسي في «تحفة الأكابر» أوائل الكتاب نقلاً عن الشيخ محيي الدين البوني ﷺ بلفظ: «كنت كنزًا لا أعرف، فخلقت خلقًا فتعرفت إليهم فبي عرفوني». قالوا: ومعنى قوله: «خلقت خلقًا» قدرت أعيانًا تقديرية، فتعرفت إليهم بجلالي وجمالي، ودللتهم عليَّ، فبي مني إليهم عرفوني، وكان هذا التعريف بلسان ترجمان القدم، وهو الحقيقة المحمدية التي هي أصل الكل.

وقال الجيلي في «كمالاته»: هذا حديث صحيح من طريق الكشف، ضعيف من طريق الإسناد، وقد أجمع المحققون ـ يعني من أهل الله تعالى ـ على صحته، وذكره غير واحد منهم في مصنفاته، انتهى. وأما ابن تيمية فذكر أنه ليس من كلام النبي ﷺ وأنه لا يعرف له سند صحيح ولا ضعيف، وتبعه بدر الدين الزركشي، والحافظ ابن حجر وغيرهما.

وانظر: «المقاصد الحسنة» للسخاوي، وانظر: «جلاء القلوب» و«قاب قوسين» (ص٨٤) بتحقيقنا.

(١) لعله أراد أنه لم يقله لفظًا، وإن كان له معنى، أو أنه من كلام الكتب الإلهية لا من كلامه ﷺ.

(٢) ذكره العجلوني في كشف الخفا (١/ ٢٦٣)، واعلم أن المراد هنا من العقل هو العقل الأول، سيدنا النبي ﷺ، فهو أول ما خلق الله، وخلق الخلق من نوره المكرم ﷺ.

ـ وعن حديث: «اتَّخِذُوا عِنْدَ الفُقَرَاءِ يَدًا، فَإِنَّ لَهُمْ دَوْلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ»(١).

فقال: إنه ﷺ لم يقله، وكذا قاله الحافظ السيوطي في «الحاوي في الفتاوي».

ـ وعن حديث: «أُحِبُّ الْعَرَبَ لِثَلَاثٍ: لِأَنِّي عَرَبِيٌّ، وَالْقُرْآنُ عَرَبِيٌّ، وَكَلَامُ أَهْلِ الْـجَنَّةِ عَرَبِيٌّ»(٢).

فقال: لم يقله النبي ﷺ.

* **قلت:** وكذا قال ابن الجوزي في «الموضوعات» وتصحيح الحاكم له متعقب.

ـ وعن حديث: «عُلَمَاءُ أُمَّتِي كَأَنْبِيَاءِ بَنِي إِسْرَائِيلَ»(٣).

فقال: ليس بحديث، وكذا قال الحافظ [ابن حجر] السيوطي في «الدرر».

ـ وعن حديث: «أَكْرِمُوا عَمَّاتِكُمُ النَّخْلَ ..»(٤).

---

(١) أخرجه أبو نعيم في الحلية (٨/ ٢٩٧)، والديلمى (١/ ٨٣، رقم ٢٦١)، وقال العراقى في تخريج الإحياء (٤/ ١٧٠): سنده ضعيف وكذا العجلوني (١/ ٣٧) قال: رواه أبو نعيم عن الحسين بن على بسند ضعيف.

(٢) أخرجه العقيلى (٣/ ٣٤٨، ترجمة ١٣٨٠ العلاء بن عمرو)، وقال: منكر لا أصل له. وأخرجه الطبراني (١١/ ١٨٥، رقم ١١٤٤١)، وفى الأوسط (٥/ ٣٦٩، رقم ٥٥٨٣) قال الهيثمى (١٠/ ٥٢): فيه العلاء بن عمرو الحنفى، وهو مجمع على ضعفه. والحاكم (٤/ ٩٧، رقم ٦٩٩٩)، وقال: صحيح وتعقبه الذهبى فقال: أظنه موضوعًا. والبيهقى في شعب الإيمان (٢/ ٢٣٠، رقم ١٦١٠)، وابن عساكر (١٩/ ١١٥)، وابن الجوزى في الموضوعات (٢/ ٢٩٢، رقم ٨٥٩). قال ابن أبي حاتم في العلل (٢/ ٣٧٥): سمعت أبي يقول: هذا حديث كذب. وجميعهم: «أَحِبُّوا».

(٣) قال السيوطي في الدرر لا أصل له، وقال في المقاصد قال شيخنا: يعني ابن حجر لا أصل له، وقبله الدميري والزركشي، وزاد بعضهم: ولا يعرف في كتاب معتبر. [كشف الخفا ٢/ ٦٤].

(٤) أخرجه أبو يعلى (١/ ٣٥٣، رقم ٤٥٥)، والرامهرمزى في أمثال الحديث (١/ ٧٣، رقم ٣٥). والديلمى (١/ ٦٨، رقم ١٩٨)، وابن أبي حاتم كما في تفسير ابن كثير (٣/ ١١٨)، والعقيلى مختصرًا (٤/ ٢٥٦)، وابن عدى (٦/ ٤٣١)، وأبو نعيم في الحلية (٦/ ١٢٣)، وابن عساكر (٧/ ٣٨٢)، وعزاه السيوطي في «جمع الجوامع أو الجامع الكبير» (١/ ٤٦٦٧) أيضًا لابن السنى في الطب، وابن مردويه. وقال الهيثمى (٥/ ٨٩): فيه مسرور بن سعيد التميمى، وهو ضعيف. قال ابن كثير: هذا حديث منكر جدًّا. وقال العقيلى: هو غير محفوظ لا يعرف إلا بمسرور. والحديث موضوع. ولفظه: «أكرموا عمتكم النخلة، فإنها خلقت من طينة أبيكم آدم وليس من الشجر شجرة أكرم على الله من شجرة ولدت تحتها مريم بنت عمران فأطعموا نساءكم الوُلَّد الرُّطَب، فإن لم يكن رطب فتمر».

فقال: ليس بحديث، وكذا قال ابن حجر في «الشرح» والسيوطي في «اللآلئ المصنوعة» وابن الجوزي في «الموضوعات».

ـ وعن حديث: «**أَنَا أَفْصَحُ مَنْ نَطَقَ بِالضَّادِ**»(١).

فقال: ليس بحديث، وكذا قال الحافظ ابن كثير، والحافظ ابن الجوزي في «النشر» والحافظ السيوطي في «الدرر».

وعن أحاديث كثيرة لا أحصيها، فوافق كلامه ﷺ كلام العلماء.

ومن عجيب أمره وغريب شأنه ﷺ: إني إذا خضت معه في هذا الباب يميز الحديث الذي أخرجه البخاري وليس في مسلم، والذي أخرجه مسلم وليس في البخاري، فلما طالت خبرتي له، وثبت عندي معرفته بالحديث من غيره، سألته عن السبب الذي يعرف به ذلك فقال مرة: كلام النبي ﷺ لا يخفى، وسألته مرة أخرى فقال: إن الشخص في الشتاء إذا تكلم خرج من فمه الفوار، وإذا تكلم في الصيف لا يخرج من فمه فوار، وكذلك من تكلم بكلام النبي ﷺ خرج النور مع كلامه، ومن تكلم بغير كلامه خرج الكلام بغير نور.

ـ **وسألته** مرة أخرى فقال: إن السراج إذا تغذى قوي نوره، وإذا ترك بقي على حالته، وكذا حال العارفين إذا سمعوا كلامه ﷺ تقوى أنوارهم وتزداد معارفهم، وإذا سمعوا كلام غيره بقوا على حالتهم.

فلما ظهر لي رسوخ قدمه في هذا وأنه جبل لا يتزلزل في معرفة ما خرج من شفتي النبي ﷺ بدا لي أن أختبره في الفرق بين القرآن والحديث، فإنه لا يحفظ من القرآن حزب «سبح» فضلًا عن غيره، فجعلت أذكر له مرة آية وأقول: هل هي حديث أم قرآن؟ فيقول: هي قرآن، ثم أذكر له حديثًا وأقول له: هل هو قرآن أو حديث؟ فيقول: هو حديث.

وطال اختباري له في هذا الباب حتى ذكرت له مرة قوله تعالى: ﴿**حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى**﴾ وهي صلاة العصر ﴿**وَقُومُوا لله قَانِتِينَ**﴾ [البقرة:٢٣٨].

فقلت: قرآن هذا أو حديث؟

(١) قال السخاوي في «المقاصد الحسنة» (١/ ١٦٧): معناه صحيح ولكن لا أصل له كما قاله ابن كثير.

obeikandl.com

فقال ﷺ: فيه قرآن وفيه حديث، فقوله: وهي صلاة العصر خرج من شفتي النبي ﷺ وليس بقرآن والباقي قرآن، وكان حاضرًا معي جماعة من الفقهاء حين سألته فتعجبنا والله جميعًا منه.

فلما علمت أنه لا يخفى عليه القرآن من الحديث بدا لي أن أختبره في الفرق بين القرآن والأحاديث القدسية، فجعلت أذكر له الحديث القدسي وأقول: أهو قرآن؟ فيقول: ما هو قرآن ولا هو بالحديث الذي كنت تسأل عنه أولاً، هذا نوع آخر من الحديث يقال له: الحديث الرباني، فقبلت يده الكريمة وقلت له: يا سيدي، نريد من الله ثم منكم أن تبينوا لي الفرق بين هذه الثلاثة، فإن الحديث القدسي له شبه بالقرآن وبالحديث الذي ليس بقدسي، فيشبه القرآن من حيث هو منزل، ويشبه ما ليس بقدسي من حيث إنه ليس متعبدًا بتلاوته.

فقال ﷺ: الفرق بين هذه الثلاثة وإن كانت كلها خرجت من بين شفتيه ﷺ وكلها معها أنوار من أنواره ﷺ: إن النور الذي في القرآن قديم من ذات الحق ﷻ لأن كلامه تعالى قديم، والنور الذي في الحديث القدسي من روحه ﷺ وليس هو مثل نور القرآن، فإن نور القرآن قديم ونور هذا ليس بقديم، والنور الذي في الحديث الذي ليس بقدسي من ذاته ﷺ فهي أنوار ثلاثة اختلفت بالإضافة، فنور القرآن من ذات الحق ﷻ ونور الحديث القدسي من روحه ﷺ ونور ما ليس بقدسي من ذاته ﷺ.

فقلت: ما الفرق بين نور الروح ونور الذات؟

فقال ﷺ: الذات خلقت من تراب، ومن التراب خلق سائر العباد، والروح من الملأ الأعلى، وهم أعرف الخلق بالحق ﷻ وكل واحد يحن إلى أصله، فكان نور الروح متعلقًا بالحق ﷻ ونور الذات متعلقًا بالخلق، فلذا ترى الأحاديث القدسية تتعلق بالحق ﷻ بتبيين عظمته، أو بإظهار رحمته، أو بالتنبيه على سعة ملكه وكثرة عطائه.

فمن الأول: حديث: «يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ ..»[1] وهو حديث أبي ذر في «مسلم».

---

(١) أخرجه مسلم (٤/ ١٩٩٤، رقم ٢٥٧٧)، وابن حبان (٢/ ٣٨٥، رقم ٦١٩)، والحاكم (٤/ ٢٦٩، رقم ٧٦٠٦)، وقال: صحيح على شرط الشيخين.

obeikandl.com

ومن الثاني: حديث: «أَعْدَدْتُ لِعِبَادِي الصَّالِحِينَ ..»[١].

ومن الثالث: حديث: «يَدُ الله مَلْأَى، لَا تَغِيضُهَا نَفَقَةٌ سَحَّاءُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ ..»[٢].

وهذه من علوم الروح في الحق ﷻ وترى الأحاديث التي ليست بقدسية تتكلم على ما يصلح البلاد والعباد بذكر الحلال والحرام، والحث على الامتثال بذكر الوعد والوعيد، هذا بعض ما فهمت من كلامه ﷺ والحق أني لم أُوفِّ به، ولم آت بجميع المعنى الذي أشار إليه.

فقلت: الحديث القدسي من كلام الله ﷻ أم لا؟

فقال: ليس هو من كلامه، وإنما هو من كلام النبي ﷺ.

فقلت: فلم أضيف للرب ﷻ فقيل فيه: حديث قدسي، وقيل فيه: فيما يرويه عن ربه؟ وإذا كان من كلامه ﷺ فأيّ رواية [له] فيه عن ربه، وكيف تعمل مع هذه الضمائر في قوله:

«يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ ..»[٣].

وقوله: «أَعْدَدْتُ لِعِبَادِي الصَّالِحِينَ»[٤].

وقوله: «أَصْبَحَ مِنْ عِبَادِي مُؤْمِنٌ بِي وَكَافِرٌ»[٥]؟.

فإن هذه الضمائر لا تليق إلا بالله، فتكون الأحاديث القدسية من كلام الله تعالى وإن لم تكن ألفاظها للإعجاز ولا تعبدنا بتلاوتها، فقال ﷺ مرة: إن الأنوار من الحق ﷻ تهب

---

(١) أخرجه أحمد (٢/ ٣١٣، رقم ٨١٢٨)، والبخارى (٣/ ١١٨٥، رقم ٣٠٧٢)، ومسلم (٤/ ٢١٧٤، رقم ٢٨٢٤)، والترمذى (٥/ ٣٤٦، رقم ٣١٩٧) وقال: حسن صحيح.

(٢) أخرجه أحمد (٢/ ٣١٣، رقم ٨١٢٥)، والبخارى (٦/ ٢٦٩٩، رقم ٦٩٨٣)، ومسلم (٢/ ٦٩١، رقم ٩٩٣).

(٣) أخرجه مسلم (٤/ ١٩٩٤، رقم ٢٥٧٧)، وابن حبان (٢/ ٣٨٥، رقم ٦١٩)، والحاكم (٤/ ٢٦٩، رقم ٧٦٠٦)، وقال: صحيح على شرط الشيخين.

(٤) أخرجه أحمد (٢/ ٣١٣، رقم ٨١٢٨)، والبخارى (٣/ ١١٨٥، رقم ٣٠٧٢)، ومسلم (٤/ ٢١٧٤، رقم ٢٨٢٤)، والترمذى (٥/ ٣٤٦، رقم ٣١٩٧) وقال: حسن صحيح.

(٥) تقدم.

على ذات النبي ﷺ حتى تحصل له مشاهدة خاصة وإن كان دائمًا في المشاهدة، فإن سمع مع الأنوار كلام الحق ﷻ أو نزل عليه ملك فذلك هو القرآن، وإن لم يسمع كلامًا ولا نزل عليه ملك فذلك وقت الحديث القدسي، فيتكلم ﷺ ولا يتكلم حينئذ إلا في شأن الربوبية بتعظيمها وذكر حقوقها.

ووجه إضافة هذا الكلام إلى الرب ﷻ أنه كان مع هذه المشاهدة التي اختلطت فيها الأمور حتى رجع الغيب شهادة، والباطن ظاهرًا، فأضيف إلى الرب وقيل فيه: حديث [رباني][1]، وقيل فيه: فيما يرويه عن ربه ﷻ ووجه الضمائر أن كلامه ﷺ خرج على حكاية لسان الحال التي شاهدها من ربه ﷻ.

وأمّا الحديث الذي ليس بقدسي فإنه يخرج مع النور الساكن في ذاته ﷺ الذي لا يغيب عنها أبدًا، وذلك أنه ﷻ أمد ذاته ﷺ بأنوار الحق، كما أمد جرم الشمس بالأنوار المحسوسة، فالنور لازم للذات الشريفة لزوم نور الشمس لها.

وقال مرة أخرى: وإذا فرضنا محمومًا دامت عليه الحمى على قدر معلوم، وفرضناها تارة تقوى حتى يخرج بها عن حسه ويتكلم بما لا يدري، وفرضناها مرة أخرى تقوى ولا تخرجه عن حسه، ويبقى على عقله ويتكلم بما يدري، فصار لهذه الحمى ثلاثة أحوال: قدرها المعلوم، وقوتها المخرجة عن الحس، وقوتها التي لا تخرج عن الحس، فكذا الأنوار في ذاته ﷺ فإن كانت على القدر المعلوم فما كان من الكلام حينئذ فهو الحديث الذي ليس بقدسي، وإن سطعت الأنوار وشعلت في الذات حتى خرج بها ﷺ عن حالته المعلومة، فما كان من الكلام حينئذ فهو كلام الله ﷻ وهذه كانت حالته ﷺ عند نزول القرآن عليه، وإن سطعت الأنوار ولم تخرجه عن حالته ﷺ فما كان من الكلام حينئذ قيل فيه: حديث قدسي.

وقال مرة [أخرى]: إذا تكلم النبي ﷺ وكان الكلام بغير اختياره فهو القرآن، وإن كان باختياره فإن سطعت حينئذ أنوار عارضة فهو الحديث القدسي، وإن كانت الأنوار الدائمة فهو الحديث الذي ليس بقدسي، ولأجل أن كلامه ﷺ لابد أن تكون معه أنوار الحق ﷻ كان جميع ما يتكلم به ﷺ وحيًا يوحى، وباختلاف أحوال الأنوار افترق إلى الأقسام الثلاثة، والله أعلم.

---

(١) في (ب): قدسي.

فقلت: هذا كلام في غاية الحسن، ولكن ما الدليل على أن الحديث القدسي ليس من كلامه ﷿؟

فقال ﵁: كلامه تعالى لا يخفى.

فقلت: بكشف؟

فقال ﵁: بكشف وبغير كشف، وكل من له عقل وأنصت للقرآن ثم أنصت لغيره أدرك الفرق لا محالة، والصحابة ﵃ أعقل الناس، وما تركوا دينهم الذي كانت عليه الآباء إلا بما وضح من كلامه تعالى، ولو لم يكن عند النبي ﷺ إلا ما يشبه الأحاديث القدسية ما آمن من الناس أحد، ولكن الذي ظلت له الأعناق خاضعة هو القرآن العزيز الذي هو كلام الرب ﵎.

فقلت له: ومن أين لهم أنه كلام الرب تعالى، وإنما كانوا على عبادة الأوثان، ولم تسبق لهم معرفة بالله ﷿ حتى يعلموا أنه كلامه، وغاية ما أدركوه أنه كلام خارج عن طوق البشر، فلعله من عند الملائكة مثلاً؟ فقال ﵁: كل من استمع القرآن وأجرى معانيه على قلبه علم علمًا ضروريًا أنه كلام الرب ﵎ فإن العظمة التي فيه، والسطوة التي عليه ليست إلا عظمة الربوبية وسطوة الألوهية، والعاقل الكيس إذا استمع لكلام السلطان الحادث، ثم استمع لكلام رعيته وجد لكلام السلطان نفسًا به يعرف، حتى إنا لو فرضناه أعمى وجاء إلى جماعة يتكلمون، والسلطان مغمور فيهم، وهم يتناوبون الكلام لميّز كلام السلطان من غيره، بحيث لا تدخله في ذلك ريبة، هذا في الحادث مع الحادث، فكيف بالكلام القديم؟ وقد عرف الصحابة ﵃ من القرآن ربهم ﷿ وعرفوا صفاته وما يستحقه من ربوبيته، وقام لهم سماع القرآن في إفادة العلم القطعي به ﷿ مقام المعاينة والمشاهدة، وحتى صار الحق ﵎ عندهم بمنزلة الجليس، ولا يخفى على أحد جليسه.

قال ﵁: وكلام الرب ﵎ يعرف بأمور:

منها: خروجه عن طوق البشر، بل وسائر الحوادث؛ لأن كلامه على وفق علمه المحيط، وعلى وفق قضائه وحكمه، فله تعالى العلم المحيط والقضاء النافذ، والحادث ليس له علم محيط ولا قضاء نافذ، فهو ـ أي: الحادث ـ يتكلم على وفق علمه الحادث وحكمه العاجز اللذين هما بيد غيره، فهو يتكلم مع علمه بأنه ليس له من الأمر شيء.

obeikandi.com

ومنها: إن لكلامه تعالى نفسًا لا يوجد في كلام غيره، فإن الكلام يتبع أحوال الذات، فكلام القديم يخرج ومعه سطوة الألوهية وعزة الربوبية، ولذا مُزج فيه الوعد بالوعيد، والتبشير بالتخويف، ولو لم يكن فيه من العزة إلا أنه يتكلم والملك ملكه، والبلاد بلاده، والعباد عباده، والأرض أرضه، والسماء سماؤه، والمخلوقات مخلوقاته، لا منازع له في ذلك، لكان ذلك كافيا، وكلام غيره ﷻ لابد فيه من سمة الخوف، فإن المتكلم ولو فرضناه من أعلى المقربين فباطنه ممتلئ بالخوف منه تعالى، وهو تعالى لا يخاف أحدًا، فهو عزيز وكلامه عزيز.

ومنها: إن الكلام القديم إذا أُزيلت حروفه الحادثة وبقيت المعاني القديمة وجدتها تتكلم مع سائر الخلق لا فرق [عندها] بين الماضي والحال والاستقبال، وذلك أنه ـ أي: المعنى ـ قديم ليس فيه ترتيب ولا تبعيض، ومن فتح الله بصيرته نظر إلى المعنى القديم فوجده لا نهاية له، ثم ينظر إلى الحروف فيراها شبه صورة سُتر فيها المعنى القديم، فإذا أزال الصورة رأى ما لا نهاية له، وهو باطن القرآن، وإذا نظر إلى الصورة وجدها محصورة بين الدفتين، وهو ظاهر القرآن، وإذا أنصت لقراءة القرآن رأى المعاني القديمة راكدة في ظل الألفاظ، لا يخفى عليه ذلك، كما لا تخفى عليه المحسوسات بحاسة البصر.

ومنها: التمييز الواقع منه ﷺ بين كلامه وكلام ربه ﷻ فإنه أمرهم بكتب كلام الرب ﷻ ونهاهم أن يكتبوا عنه غيره، وأمرهم بمحو ما كتبوا من ذلك، وما ثبت أنهم كتبوا عنه الأحاديث القدسية، فتكون من جملة كلامه لا من جملة كلام الرب ﷻ وليس فيها أيضًا شيء من الخصال الثلاث؛ أعني: خروجها عن طوق البشر وما ذكره بعده.

فهذا بعض ما استفدناه من إشاراته ﵁ في الفرق بين هذه الثلاثة، وجوابه الأخير؛ أعني: قوله: كل من له عقل وأنصت للقرآن ثم أنصت لغيره أدرك الفرق لا محالة ... إلى آخر ما حققه، أشار إلى نحوه القاضي إمام الدنيا أبو بكر الباقلاني ـ رحمه الله تعالى ـ في كتاب «الانتصار»، وأطال النَّفَس في ذلك جدًّا، وبهذا الوجه رد على كثير من دعاوى الروافض في إضافتهم إلى القرآن ما ليس منه، فانظره، ولولا خشية الطول لأثبتنا كلامه حتى تراه عيانًا.

ولما افتتح شيخنا الجواب بقيت متعجبًا منه ﵁ حيث أتى في بديهته بما قاله الإمام

السابق، ثم إنه ﷺ ختم الجواب بفرق خامس مبناه الكشف المحض، لم نكتبه؛ لأن العقول [من ورائه](١)، وليكن هذا آخر ما أردنا أن نثبته في هذه المقدمة، ولنشرع في المقصود الذي هو جميع ما سمعناه من علوم الشيخ رضي الله عنه وينحصر ذلك في أبواب.

(١) في (ب): لا تطيقه.

obeikandi.com